أصول العقائد الدينية

الشيخ د/ فهد بن سليمان الفهيد

{الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فهذا أول درس .....

(الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جِدًّا فِي أُصُولِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَالأُصُولِ الكَبِيرَةِ المُهِمَّةِ، اقْتَصَرْنَا فِيهَا عَلَىٰ مُجَرَّدِ الإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ، مِنْ غَيْرِ بَسْطٍ لِلكَلَامِ، وَلَا ذِكْرِ أَدِلَّتِهَا، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ لَهَا أَنَّهَا مِنْ نَوْعِ الفِهْرِسْتِ لِلمَسَائِلِ؛ لِتُعْرَفَ أُصُولُهَا وَمَقَامُهَا، وَمَحَلُّهَا مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي العِلْمِ يَطْلُبُ بَسْطَهَا وَبَرَاهِينَهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِنْ يَسَّرَ اللهُ وَفَسَحَ فِي الأَجَلِ بَسَطْتُ هَذِهِ المَطَالِبَ وَوَضَّحْتُهَا بِأَدِلَّتِهَا)}.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه، أما بعد.

فإننا نشكر الله -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ تيسير هذه الدورة العلمية المباركة التي تُقام في هذا الجامع المبارك "الجامع النافع" بحي الملقا بالرياض، وتبدأ هذه الدورة من هذا اليوم السبت الثاني عشر من شهر جمادىٰ الثانية ولمدة أسبوع من عام ألف

وأربعمائة وثلاثة وأربعين للهجرة، ونشكر الله -جل وعلا- على تيسير هذه المجالس، ونسأل الله -جل وعلا- أن ينفعنا وإياكم بالعلم النافع والعمل الصالح.

وأوصيكم بالالتزام بالتدابير الاحترازية من التباعد والحرص على الأخذ بكل أسباب السلامة الموصى بها طاعة لولاة الأمور الذين هم حريصين على سلامة المجتمع.

ثم أيها الإخوة أشكر أخي ومحبوبي في الله الشيخ فهد غراب إمام هذا الجامع وزملاءه في الجامع؛ المؤذن والقائمين على هذه الدورة العلمية، ونسأل الله -جل وعلا- أن يثيبهم، وكذلك ندعو الله -عز وجل- بالمغفرة والرحمة والرضوان لمن تكفل بجميع النفقات المتعلقة بهذه الدورة، وذلك من أفضل الأعمال التي نرجو الله -سبحانه وتعالى- أن يوصل أجرها وثوابها إليه في قبره عن طريق ورثته وأولاده -جزاهم الله خيرًا-، فالقائم أو هذه الدورة طبعت على نفقة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله المعيذر -رحمه الله رحمة واسعة-، وهو من أهل الخير والعبادة وأهل الصلاح والتقوى، نحسبه والله حسيبه، ونرجوا أن ما عند الله خير له مما في هذه الدنيا، ونسأل الله أن يجزيَ ذريته خير الجزاء على رعايتهم للعلم.

وهذا الباب الذي تنفق فيه هذه الأموال هو أعظم ما تنفق فيه الأموال قربةً إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن هذا أعظم الجهاد في سبيل الله، والمسلمون اليوم في أمسِّ الحاجة وأعظم ضرورة إلى العلم الشرعي، العلم النافع الصحيح المأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، والصعوبات والتحديات والمعوقات والظروف التي تحيط بالمسلمين في هذا الزمان، سواءٌ من أعداء

الإسلام في الخارج أو من المنافقين أو أعداء الإسلام المندسِّين ممن يركب ركوب البدع والنفاق والكيد للمسلمين بخفيَة، هؤلاء كلهم يواجهون بالعلم؛ لأن الله -عز وجل- قال لأشرف الخلق وهو محمد -صلىٰ الله عليه وسلم-: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

قال العلماء: جهاد المنافقين ليس بالقتال، وإنما بالعلم والبيان، وسائر ما يفعله الكفار من صدٍّ عن سبيل الله ونشر للإلحاد وترويجٍ للكفر ونشر للشبهات ودعوة للشرك بالله، والاستغاثة بغيره وصرف العبادة لغيره، وغير ذلك مما يفعله أعداء الإسلام ،وينفقون فيه النفقات الهائلة، كل هذا سيذهب أدراج الرياح أمام طالب علمٍ ينشر كلام الله وكلام رسوله واحدٍ يهدم بنيانهم ويقول: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ولا شكَّ أيضًا أنَّ ولاةَ الأمور بحاجة إلىٰ أن يكون المجتمع واعيًا بالشريعة، عارفًا بالأحكام الشرعيَّة؛ فإن هذا مما يعين ولاة الأمور في هذه البلاد، وفي سائر بلدان المسلمين؛ فالمسلمون اليوم بحاجة إلىٰ التوْعيَة، والعلم، والعمل بما علمهم الله -عز وجل-، هذا هو السِّلاحُ العظيم :سلاح العلم، العلمُ الشرعي أقوىٰ العلوم، وأنفعها، وأثبتها، وأمضاها، وهو الذي به يثبَّتْ المؤمن في الدنيا، وبه ينجو في القبر، وبه يَسلم يوم القيامة، وبه يدخل الجنة، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]؛ ولهذا ذكر سبحانه في سورة "آل عمران" أنَّ أهل الباطل، والذين في قلوبهم زيغ يتَّبعون المتشابه، ثم قال مادحًا فئة من الناس، فقال في صفتهم: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٧ - ٩].

فيا طالب العلم- هذا أنفسُ ما تُمضي به أوقاتَك، يا طالب العلم- هذه القراءة والدراسة هي عبادةٌ لله رب العالمين، هذا المجلس تحفُّه الملائكة -إن شاء الله-، هذا المجلس يحبه الله -عز وجل-، هو خير مما يجمعون، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، درسُك للقرآن، ودرسُك للحديث، ودرْسُك في العلم الشرعي، وفي العقيدة، وفي الفقه، وفي السيرة، وفي علوم الحديث، وفي أصول الفقه، وفي غير ذلك من علوم الشريعة؛ هو يرضي الرحمن، ويُغيظ الشيطان وأولياءه، فأرضِ الله الرحمن يا عبد الله، واصبر علىٰ تعلُّم العلم، واصبر علىٰ الفقر، واصبر علىٰ الجهل، واصبر علىٰ الجوع، واصبر علىٰ كل الأشياء التي تمر بك؛ فإن هذا عاقبته حميدة، طلب العلم عاقبته حميدة، فهذا الذي أنفق هذا المال خدمةً لطلبة العلم هذا في الحقيقة قد وُفِّق لأحسن الأمور وأحسن المجالات، فنسأل الله -جل وعلا- أن يثيبَهُ،وأن يغفِرَ له، وأن يثيبَنا، وإياكم جميعًا وجميع المسلمين، وأن يوفقنا وإياكم للعمل بما يرضاه -سبحانه وتعالىٰ.

هذه الرسالة التي بين أيدينا رسالة مختصرة، وبيَّن مؤلفها وهو الشيخ العالم العلامة المفسِّر الفقيه المتبحِّر في علوم الشريعة :(عبد الرحمن بن ناصر السعدي)، هذا العالم الجليل هو شيخ الشيخ محمد بن عثيمين وتتلمذ علىٰ هذا الشيخ السعدي خلقٌ كثير، انتفعوا بعلمه، وتوفاه الله -عز وجل- قبل نحو سبعين سنة، ألف

وثلاثمائة وستة وسبعين، وقد ترك مؤلفات عظيمة النفع، كثيرة الفوائد، سهلة العبارة، قريبة إلىٰ القارئ، لا يجد القارئ فيها صعوبة؛ طالب علم كان أم مبتدئًا أم عاميًّا يجدُها واضحة، سهلة يسيرة، وفقه الله -رحمة الله عليه- لحفظ وقته، فكان يدرِّس للناس في المسجد دروسًا متتالية يوميًّا، وكان يؤلف الكتب النافعة، ولما احتاج مرة من المرات إلىٰ العلاج وأصابه مرض، فذهبوا به إلىٰ مستشفىٰ خارج المملكة بأمرٍ من ولي الأمر بأن يخرج ويعالَج، فذهبوا به إلىٰ مستشفىٰ، فوجد الناس ووجد مرضىٰ بعضهم غير مسلم....

فألف كتابًا مشهورًا اسمه "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة" هذا الكتاب فيما بلغني أنه تُرجم عشرات التراجم باللغات المختلفة، وطُبع ملايين الطبعات، هذا وكتابه المشهور التفسير "تفسير السعدي"، وهو موجودٌ في أغلب المساجد والمكتبات، ويبذل وينفق ويوزع مجانًا، وكذلك له كتب أخرىٰ نافعة جدًّا في العقيدة ،وفي الفقه، وفي معاني الحديث، له خطب أيضًا جيدة، فهو يسير علىٰ طريقة السلف الصالح، في فتاويه، وفي تعليمه -رحمة الله عليه- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، توفي ألف وثلاثمائة وستة وسبعين للهجرة.

يقول: (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ؛ أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جِدًّا) :يعني هذا الكتاب ليس هو العمدة الذي تعتمد عليه يا طالب العلم، لا، هذا مثل الفهرس، هذا رؤوس العناصر أو رؤوس المسائل، هل هذا يفيدك؟ نعم تفيدك؛ لأنها تعلِّمك، وتوضح لك مبادئ العقيدة ومن

مصدرها، وأنواع المسائل في دراستك للعقيدة، ما هي أنواع المسائل التي ستمر عليك، هنا ذكرها إجمالًا.

قال: (فِي أُصُولِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَالأُصُولِ الكَبِيرَةِ المُهِمَّةِ، اقْتَصَرْنَا فِيهَا عَلَىٰ مُجَرَّدِ الإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ، مِنْ غَيْرِ بَسْطٍ لِلكَلَامِ، وَلَا ذِكْرٍ لأَدِلَّتِهَا، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ لَهَا أَنَّهَا مِنْ نَوْعِ الفِهْرِسْتِ لِلمَسَائِلِ؛ لِتُعْرَفَ أُصُولُهَا وَمَقَامُهَا، وَمَحَلُّهَا مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي العِلْمِ يَطْلُبُ بَسْطَهَا وَبَرَاهِينَهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَإِنْ يَسَّرَ اللهُ، وَفَسَحَ فِي الأَجَلِ بَسَطْتُ هَذِهِ المَطَالِبَ وَوَضَّحْتُهَا بِأَدِلَّتِهَا).

وهناك كتب معروفة لتضبط هذه المسائل؛ فطالب العلم يقرأ الأصول الثلاثة وأدلتها: مَن ربك؟ وما دينُك؟ ومَن نبيُّك؟ للشيخ محمد بن عبد الوهاب بأدلتها الشرعية، أيضًا كتاب "التوحيد الذي هو حقُّ الله علىٰ العبيد"، كتاب نافع جدًّا، "كشف الشبهات"، "القواعد الأربعة"، "العقيدة الواسطية" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك "التدمرية" و"الحموية" كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية، "شرح ابن أبي العز الحنفي للعقيدة الطحاوية"، "مختصر الصواعق المرسلة للبعلي"، أصلها "الصواعق لابن القيم"، "اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية" لابن القيم أيضًا، "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" لابن القيم، "معارج القبول"، "شرح منظومة سُلم الوصول" للشيخ حافظ الحكمي، المنظومة للشيخ حافظ والشرح للشيخ حافظ الحكمي، هذه بعض المواضع.

الشيخ السعدي أيضًا شرحَ العقيدة الواسطية وله أيضًا في العقيدة عدة مؤلفات نافعة جدًّا منها "التعليق علىٰ القصيدة النونية" لابن القيم، فهو يقول لك هذا موضع

الشرح، والتوسع لكن ينبغي أن يعرف طالب العلم أن هناك تدرجًا في المسائل، طالبُ العلم يجب أن يعرف التدرج في المسائل العلمية في الكتب، يتدرَّج، يأخذ هذا، ثم يأخذ هذا، ثم يأخذ هذا، ويراجع ما تقدم.

الآن نبدأ بالمسائل، العناوين.

{(الأَصْلُ الأَوَّلُ: التَّوْحِيدُ

حَدُّ التَّوْحِيدِ الجَامِعُ لِأَنْوَاعِهِ هُوَ: اعْتِقَادُ العَبْدِ، وَإِيمَانُهُ بِتَفَرُّدِ اللهِ بِصِفَاتِ الكَمَالِ، وَإِفْرَادُهُ بِأَنْوَاعِ العِبَادَةِ.

فَدَخَلَ فِي هَذَا :(تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ): الَّذِي هُوَ اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ.

وَتَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: وَهُوَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ -صلىٰ الله عليه وسلم- مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الكَامِلَةِ العُلْيَا مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَتَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ وَالعِبَادَةِ: وَهُوَ إِفْرَادُهُ وَحْدَهُ بِأَجْنَاسِ العِبَادَةِ، وَأَنْوَاعِهَا، وَأَفْرَادُهَا مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ.

فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: إِثْبَاتُ القَضَاءِ وَالقَدَرِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الغَنِيُّ الحَمِيدُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ للهِ تَعَالَىٰ الوَارِدَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالإِيمَانُ بِهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: إِيمَانٌ بِالأَسْمَاءِ، وَإِيمَانٌ بِالصِّفَاتِ، وَإِيمَانٌ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ؛ كَالعِلْمِ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ، وَيَقْدِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَىٰ آخِرِ مَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ المُقَدَّسَةِ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ عُلُوِّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا: كَالسَّمْعِ، وَالبَصَرِ، وَالعِلْمِ، وَالعُلُوِّ وَنَحْوِهَا؛ وَالصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ: وَهِيَ الصِّفَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ كَالكَلَامِ، وَالخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا يَشَاءُ، وَأَنَّ جَمِيعَهَا تَثْبُتُ للهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ،وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِهَا، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَأَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، وإِذَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، لَمْ يَزَلْ بِالكَلَامِ مَوْصُوفًا، وَبِالرَّحْمَةِ وَالإِحْسَانِ مَعْرُوفًا.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ ،وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ المُتَكَلِّمُ بِهِ حَقًّا، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَبِيدُ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ أَعْلَىٰ، وَأَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَمَالِ عُلُوِّهِ، وَكَمَالِ قُرْبِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالأَفْعَالِ وَأَحْكَامِهَا عَلَىٰ وَجْهٍ يَلِيقُ بِعَظَمَةِ البَارِي، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ فَلَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ فِي بَعْضِ العَقْلِيَّاتِ مَا يُوجِبُ تَأْوِيلَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْنَاهَا المَعْرُوفِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا، وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّىٰ يَعْتَقِدَ العَبْدُ أَنَّ أَفْعَالَ العِبَادِ مَخْلُوقَةٌ للهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ، وَأَنَّ لَهُمْ أَفْعَالاً وَإِرَادَةً تَقَعُ بِهَا أَفْعَالُهُمْ؛ وَهِيَ مُتَعَلَّقُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَنَافَىٰ الأَمْرَانِ: إِثْبَاتُ مَشِيئَةِ اللهِ العَامَّةِ الشَّامِلَةِ لِلذَّوَاتِ،وَالأَفْعَالِ، وَالصِّفَاتِ، وَإِثْبَاتُ قُدْرَةِ العَبْدِ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ، وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ العَبْدِ حَتَّىٰ يُخْلِصَ العَبْدُ للهِ تَعَالَىٰ فِي إِرَادَتِهِ، وَأَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَحَتَّىٰ يَدَعَ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ المُنَافِيَ لِلتَّوْحِيدِ كُلَّ المُنَافَاةِ؛ وَهُوَ أَنْ يَصْرِفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَكَمَالُ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ: وَهُوَ كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ؛ كَالحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَيَسِيرِ الرِّيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالنَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ عَلَىٰ دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَالقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ، فَأَكْمَلُهُمْ فِي هَذَا البَابِ:(مَنْ عَرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَآلَائِهِ وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَهِمَهَا فَهْمًا صَحِيحًا؛ فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ جَمِيعِ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

وَوَقَعَتْ جَمِيعُ حَرَكَاتِهِ، وَسَكَنَاتِهِ فِي كَمَالِ الإِيمَانِ، وَالإِخْلَاصِ التَّامِّ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الأَغْرَاضِ الفَاسِدَةِ فَاطْمَأَنَّ إِلَىٰ اللهِ مَعْرِفَةً وَإِنَابَةً، وَفِعْلاً وَتَرْكًا، وَتَكْمِيلاً لِنَفْسِهِ وَتَكْمِيلاً لِغَيْرِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ هَذَا الأَصْلِ العَظِيمِ، فَنَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ).

(الأَصْلُ الأَوَّلُ: حَدُّ التَّوْحِيدِ الجَامِعُ لِأَنْوَاعِهِ)، الحدُّ يعني: التعريف، وهنا يظهر لك المنهج السلفي الذي صار عليه أئمة السُّنَّة، والفرق بينهم وبين المخالفين؛ سواء من الصوفية أو من علماء الكلام أو من الفلاسفة أو من الباطنية أو غيرهم من أنواع أهل الكفر والضلال، فطريقة الكتاب، والسُّنَّة في المراد بالتوحيد يقررها علماء أهل السُّنَّة بوضوح، أما المخالفون منهم من هو منتسبٌ للإسلام كعلماء الكلام، الأشاعرة، والمعتزلة، والماتوريديَّة يقعون في أغلاط شنيعة، لكن لا نكفِّرهم، لكن نبين ضلالهم في هذا الشيء، وانحرافهم، وهناك من هو خارج عن ملة الإسلام كالباطنية بِفِرقِها والفلاسفة، هؤلاء أيضًا يفسرون ويتكلمون بكلمة التوحيد لكنهم لا يريدون التوحيد الذي في كتاب الله وسنة رسوله، بل شيء آخر، الصوفية كذلك أنواع؛ منهم الغالي، ومنهم المبتدع، منهم الخارج عن ملة الإسلام كأصحاب وحدة الوجود الذين يقولون: الخالق والمخلوق شيء واحد، أو الله في كل مكان، هؤلاء خارجون عن الإسلام بضلالاتهم ،وكفريَّاتهم، عندهم التوحيد له معلَم، والخوارج يقولون التوحيد ويريدون به معنًىٰ، فبهذا التقرير الذي ساقه الشيخ هنا تعرف طريقة المنهج السلفي المستنبط بصدقٍ من كتاب الله، ومن سنة رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم-.

فما هو حدُّ التوحيد؟ يعني تعريف التوحيد الجامع لأنواعه، التعريف قال: (هُوَ اعْتِقَادُ العَبْدِ، وَإِيمَانُهُ) اعتقاد وإيمان، بماذا؟ (بِتَفَرُّدِ اللهِ بِصِفَاتِ الكَمَالِ، وَإِفْرَادُهُ بِأَنْوَاعِ العِبَادَةِ)، أحيانًا بعض العلماء يقول (التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة)، أو التوحيد هو: (إثبات ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله، مع إخلاص العبادة له)،

وأنت طالب علم، ينبغي لك أن تفهم أن التعريفات إذا كان مؤدَّاها واحد، فمن جهة المعنىٰ تنتبه، هو الآن يقول لك تعريف صحيح مئة بالمئة ويوافق ما يقرره أهل السُّنَّة، ما هو؟

من جزأين، الجزء الأول: تفرُّد الله، ما معنىٰ التفرد؟ يعني الله -عز وجل- منفرد لا شريك له، لا أحد ينازعه ولا يشاركه في صفات الكمال، فيدخل في صفات الكمال جميع الأسماء الحسنىٰ وجميع الصفات العليا، ويدخل في ذلك أفعاله -جل وعلا- الذي وصف بها نفسه، كل هذا صفات الكمال.

ثم قال: (وَإِفْرَادُهُ بِأَنْوَاعِ العِبَادَةِ)، العبادة عمل مَن؟ عمل الإنسان وعمل المخلوق، هذه العبادة بجميع أنواعها تُصرف لله، وإفراده بجميع أنواع العبادة، إذن هذا هو حدُّ التوحيد، هذا هو تعريف التوحيد، سيشرحه أكثر.

قال: (فَدَخَلَ فِي هَذَا) :يعني في هذه الجملة دخَل توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ،وتوحيد الألوهية، عدا الأقسام الثلاثة مأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم-، قال: (تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ)، ما هو؟ (الَّذِي هُوَ اعْتِقَادُ انْفِرَادِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ)، الخلق، لا خالق إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-، الرزق: الله هو الذي يرزق جميع خلقه، التدبير يدخل فيه الإحياء والإماتة والرفع والخفض، والإعزاز، والإذلال، ويدخل فيه إنزال المطر، ويدخل فيه كل ما يقع في هذا الكون من حوادثَ وأمور، الله -عز وجل- هو الذي يدبر الأمر -سبحانه وتعالىٰ-، هذا المعنىٰ إفراد الله به يسمىٰ (توحيد الربوبية)، لماذا

سمي بهذا؟ لأن هذا من معاني الرَّب، أي المدبِّر، الخالق، الرازق، هذا كله اختص الله به.

قال: (وَتَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ...) إلىٰ آخره، طبعًا هذا المعنىٰ وهو: توحيد الربوبية لا يكفي وحده، لا بدَّ أن نضم إليه الأسماء والصفات والألوهية، إفراد الله بالعبادة.

فمن الأغلاط المشهورة عند المتكلمين أنهم ظنوا أن الغاية هي توحيد الربوبية فقط، وجعلوا هذا هو المقصود من الرسالة، وجعلوا هذا هو المقصود من الدين، وجعلوا هذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، هذا غلطٌ شنيع وقع فيه المتكلمون وموجود في كتبهم إلىٰ يومنا هذا، بل إلىٰ يومنا هذا لا تجدهم في كتبهم يقررون الدعوة إلىٰ توحيد الألوهية، وينهون عن الشرك بتفاصيله، لا تجد هذا في كتب الكلام، وهذا يبين لك أن المنهج السلفي هو الموافق لكلام الله وكلام الرسول هو الحق، هذا من البراهين الساطعة، أن السلف الصالح ومن سار علىٰ هذا المنهج يدورون مع الكتاب ،والسُّنَّة، وعُمدتهم الكتاب والسُّنَّة فقط، ليس قواعد أهل الكلام، ومنهاج المناطقة والفلاسفة.

ثم من أخطاء المتكلمين -أعني الأشاعرة ،والمعتزلة ومن سَلك هذه المسالك- من أخطائهم الشنيعة أنهم جعلوا هذا الأمر العظيم وهو إثبات الربوبية، جعلوا له دليلاً واحدًا أو دليلين أو ثلاثة عقليًّا، وزعموا أن هذه الأدلة فقط هي التي تدلُّ وما سواها لا تدل، هذا غلط شنيع سنأتي إلىٰ بيان فساده وأن الأدلة علىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ- أكثر من أن تُحصر، وأن الأدلة علىٰ الله -عز وجل- أدلة عقلية وأدلة

شرعية وأدلة الفطرة وأدلة العقل وأدلة الإجماع، وأدلة اتفاق الرسل وآيات لا تُحصىٰ، لا يمكن حصرها، معنوية ،وحسية، مشاهدة وغير مشاهدة، آلاف الأدلة، كيف تجعلها دليل أو دليلين أو ثلاثة؟

من الأغلاط التي وقع فيها المتكلمون؛ ولهذا علم الكلام علم ضارٌّ بالمسلمين، ومن الجهاد -الذي تقوم به أنت يا طالب العلم، الذي يحبه الله- أنك تتلمَّس الأدلة الساطعة والبراهين الناصعة العقلية المذكورة في القرآن والسُّنَّة وتحتجُّ بها علىٰ من أنكر الدين أو من أنكر الخالق أو من أنكر البعث، فتستخرج هذه الأدلة من القرآن والسُّنَّة وترد بها، كما كان رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- يفعل مع المشركين والكفار، وكما كان الصحابة يفعلون، ما احتاجوا إلىٰ علم الكلام والمنطق والفلسفة.

هذا هو النوع الأول من أنواع التوحيد، قال: (وَتَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: وَهُوَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ -صلىٰ الله عليه وسلم- مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الكَامِلَةِ العُلْيَا مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ)، لعلها الصواب تكييف بدل كلمة تشبيه تكييف، فيه خطأ في النسخ فقط، تكييف بدل كلمة تشبيه (مِنْ غَيْرِ تَكييفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ).

ما الفرق بين هذه الأربعة؟ هذه كلها محرمة، نحن نؤمن بأن الله هو السميع البصير العليم القدير الحي القيوم الرحمن الرحيم، إلىٰ آخر أسمائه الحسنىٰ المذكورة في القرآن والسُّنَّة، نؤمن بها تمامًا، نوقن أنها حق وهي أسماء الله، ونؤمن بما تضمنته من الصفات، ونؤمن بالصفات التي وصف الله به نفسه في غير الأسماء أيضًا؛ فالله -عز وجل- قال عن نفسه صفات نؤمن بها: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ

اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، نؤمن بذلك، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، نؤمن بذلك، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾، نؤمن بذلك، الله يقول، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، الله يتكلم، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هذه صفات، نشرح الأربعة، من غير تكييف، يعني ما نتخيل العقول، التكييف: تُكيف عقلك! تتخيَّل لا؛ لأن العقل أقلُّ وأحقر من أن يدرك عظمة الربِّ.

الآن البصر، بصرك الآن مثل عقلك، عقلك، بصرك، وسمعك كل هذا محدود، لو جلست علىٰ جبل، وجلست تنظر في الأفق، سينتهي بصرك إلىٰ حد محدود، كذلك عقلك لا يمكن أن يحيط بالمخلوقات أو بعض المخلوقات، ما يمكن، فكيف تريد من عقلك أن يكيف صفات الخالق؟ هذا محال، لا يمكن أبدًا؛ لهذا قال الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ويحيطون بالله يعني، وكذلك قال الله -عز وجل-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، اسكتْ لا تتكلم في الله بغير علم، لا تقل عن الله إلا ما قاله الله وقاله رسوله، حتىٰ عقلك وباطنك لا تجلس تفتح لنفسك هذا الوسواس الخناس الشيطان، قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن وساوسه، أؤمن بما جاء عن الله وأمسك عن ما لا علم لي به، هذا من الأدب الواجب علىٰ المؤمن، هذا معنىٰ التكييف أنه حرام، عرفنا دليله.

نأخذ الثاني، قال: (وَلَا تَمْثِيلٍ)، لا نمثل الله بخلقه، التمثيل نوعان: تمثيل الخالق بالمخلوق، أو تمثيل المخلوق بالخالق، أيها أكثر انتشارًا بين أهل الأرض؟ يعني ترىٰ البوذيين، ترىٰ السيخ، ترىٰ الهندوس، ترىٰ الوثنيين في الدول البعيدة من هنا وهناك، ترىٰ مشركين نصارىٰ ومشركين يهود، ترىٰ المجوس وترىٰ المشركين الذين يدَّعون الإسلام، وترىٰ الوثنيين في الأدغال إلىٰ آخره؛ أي الكفرين أعظم انتشارًا؟ تمثيل الخالق بالمخلوق أم تمثيل المخلوق بالخالق؟

الصواب الثاني؛ تمثيل المخلوق بالخالق، أكثر أهل الأرض تعلقوا بمخلوقين، فزعموا أن هذا المخلوق يعلم الغيب، فأعطوه صفات لا تليق إلا بالله، وزعموا أن هذا المخلوق يسمعه ولو كانوا بعيدين ويجيب دعاؤهم، وزعموا أن هذا المخلوق يدبِّر، بعضهم وقع في هذا ليس كلهم، هذا يُعتبر تشبيه المخلوق بالخالق، أي أعطوا المخلوق صفة لا تليق إلا بالخالق، مثل ما يقول النصارىٰ عن عيسىٰ، ومثل ما يقول بعض المشركين عن البدوي، يقولون البدوي ما تدخل ذرة البلد ولا تخرج إلا بإذنه! هذا مخلوق كيف تعطونه صفة الخالق؟! أو يقولون عن الرسول محمد -صلىٰ الله عليه وسلم-: إنه يعلم الغيب، ويجيب الدعاء، ولو، ادعونه من بعيد يجيب الدعاء، هذا شرك، أعطوا المخلوق صفةً لا تليق إلا بالله -سبحانه وتعالىٰ.

النوع الأول الذي هو تشبيه الخالق بالمخلوق وقع فيه أقوام وفئام لكن ضلالهم مكشوف وأمرهم مفضوح وكل من قاله محَّه جميع الخلق، لا أحد يقبل كلامه؛، لأن هذا أصلاً مرفوض عقلاً قبل أن يكون مرفوضًا شرعًا، يعني الخالق لا يمكن أن يكون مثل المخلوق أبدًا، العقل يرفض هذا تمامًا؛ ولهذا من قال بهذا؛ فكفره واضح،

وبُعده عن الإسلام واضح، ولكنهم مع الأسف وُجد من ينتسب للإسلام من بعض غلاة الرافضة، وغيرهم وجد عنهم من يقول مثل هذا القول الفكري -نعوذ بالله من هذا الكفر-، هذا التمثيل من أعظم المحرمات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

لكن النوع الثاني هو الأكثر انتشارًا حقيقة، يعني تجد الآن الذين يذهبون إلىٰ ضريح ميت يستغيثون به، ويذبحون له ذبيحة، لماذا ذهبوا إليه؟ بعضهم يقول يجيب الدعاء أو يشفي المرض أو يرزقنا نحن في شدة أو ينزل المطر، كل هذا الشرك؛ لأنهم أعطوا هذا المخلوق العاجز الحقير الناقص الذي لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعًا ولا ضرًّا، أعطوه صفة لا تليق إلا بالله، هذا المنتشر في الأرض؛ ولهذا خذها يا طالب العلم فائدة: وهي أن الآيات التي في إبطال تمثيل الخالق -جل وعلا- بخلقه يستفاد منها: تقرير توحيد الألوهية، وإبطال الشرك في الدرجة الأولىٰ؛ فقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هو ردٌّ علىٰ المشركين كما هو ردٌّ علىٰ من يمثِّل الخالقَ بالمخلوق، لكنه في الدرجة الأولىٰ هو رد علىٰ المشركين؛ ولهذا لو قرأت عليكم الآية في سورة "الشورىٰ" من أولها لظهر لكم جليًّا هذا المعنىٰ، وأنا أطلب منكم أنكم تقرءون سورة "الشورىٰ" من أولها حتىٰ تمروا بهذه الآية، فتعلموا عظمة الله -سبحانه وتعالىٰ-، والله العظيم آيات عظيمة جدًّا، كل القرآن عظيم لكن انظر: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الشورىٰ: ٩]، هذه قبلها بخمس آيات، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، ﴿أَمِ﴾ هنا للإفراد، والاستنكار علىٰ هؤلاء، ﴿فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ

يُحْيِي المَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، الأوصاف الآن أربعة عشر جملة وصفية، أربعة عشر جملة وصفية لربنا -سبحانه وتعالىٰ- بعد هذا الموضع: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ما فيه أحدٌ فطرَ السموات والأرض غيره؟ ولا يوجد أبدًا من قال إنه فاطر السموات والأرض، ما يوجد أبدًا أحد قال هذا إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-، ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ إلىٰ آخر الآيات.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَىٰ المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣]، الذي قبلها ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، منهم من يعبد عيسىٰ ابن مريم، ومنهم من يعبد عُزير، ومنهم من يعبد اللاَّت، ومنهم يعبد العزَّىٰ ،ومَناة، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الجن، ومنهم من يعبد الشجر، ومنهم من يعبد الحجر، ومنهم من يعبد الصنم، ومنهم من يعبد الفَرس، ومنهم من يعبد النار، ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَىٰ﴾، الربوبية، هذا معنىٰ من معاني الربوبية تتعلق به أنت ما تتجه لغيره، كل هذه الصفات لا يوصف بها إلا الله، إذن لا

يعبد إلا هو؛ لهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، يعني أنتم تذهبون لهؤلاء ليس هم مثل الله، فكيف تدعونهم؟!

إذن هذه الآيات وأمثالها كلها في تقرير توحيد الألوهية ؛كما أنها في تقرير توحيد الأسماء ،والصفات.

المحذور الثالث: (وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ)، التحريف ما هو؟ التحريف: التغير، وهذا التغيير يكون باللفظ أو يكون بالمعنىٰ، أما اليهود فتجرءوا وحرَّفوا باللفظ، وأمرهم الله -عز وجل- بأوامر فغيروا حروفها كما حكىٰ الله عنهم في سورة "البقرة"، -والنصارىٰ كذلك مثل اليهود-، أما الضُّلال من هذه الأمة فالذين حرَّفوا اللفظ نادر جدًّا، نادر ومفضوحين؛ لأن الله -عز وجل- قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، لو واحد الآن بيَّت النية أنه يغير من القرآن حرفًا واحدًا، لفضحه الله -عز وجل- وهو في قَعر بيته -ولله الحمد-، القرآن محفوظ، الله تكفَّل بحفظه، لا يمكن أن يُزاد فيه ولا ينقص منه، ومن زعم أن القرآن يزاد فيه أو ينقص منه أو أنه ناقص أو شكَّك في ذلك، فهو كافر بالله العظيم بإجماع المسلمين ولا يقول هذا إلا الكفار، والحمد لله الذي حفظ كتابه، لا أنا ولا أنت ولا دولة، الله تكفل بكتابه، وأقام الله -عز وجل- لهذا الكتاب من يحفظه، فالتحريف اللفظي صعب عليهم، يعني اليهود أو بعض ضلال اليهود أو بعض ضلال الحاقدين علىٰ الإسلام يحاولون يطبعون طبعة، ينفضحون مباشرة، مباشرة ينفضحون، جاء بعض الضُّلال من هذه الأمة من غلاة الروافض، وبعض ضلال المعتزلة حاولوا وانكشفوا، هذا التحريف اللفظي، التحريف المعنوي: هو الذي نشطوا فيه؛ ولهذا نحذِّر منه

المسلمين، نحن نؤمن بأسماء الله وصفاته كما جاءت من غير تحريف معنوي لها، ما تحرفها، ما تتلاعب بالألفاظ نؤمن بها كما جاءت وكما فهمها الصحابة -رضي الله عنهم-، هذا معنىٰ التحريف.

الرابع والأخير: التعطيل، التعطيل: هو الإنكار والجحد، هذا وُجد في سنة مائة وعشرة تقريبًا أول ما ظهر من (الجهم بن صفوان)، تلميذ الجعْد بن درهم، وتلامذتهم ومنهم بِشْر المريسي، ثم ورِث المعتزلة مذهبهم، ثم ورث الأشاعرة بعض مذهبهم وليس كله، فصارت بعض هذه الطوائف يقولون نحن نؤمن بالقرآن، القرآن حق لكن لا نقول إن الله سميع ولا نقول إن الله بصير، أو يقولون لا نقول إن الله له سمع أو لا نقول إن الله له بصر، هذا يسمىٰ التعطيل، الإنكار، ولهذا هؤلاء رؤوس المعطلة يسمون الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي الترمذي، الذي قُتل سنة مئة وستة وعشرين تقريبًا، هذا الجهم بن صفوان: هو إمام الجهمية الذي نشر المذهب، وأصل المذهب من الجعْد شيخه وأستاذه، شيخ الجهم اسمه الجعد بن درهم، ما قالوا الجعدية؛ لأن الجعد ما نشره، لكن الجهم صار له هيلمان في خراسان، وفي بعض البلدان في العراق في ذلك الوقت، وصار يظهر الأمر بالمعروف ويظهر النهي عن المنكر ويُظهر التدين وهو جاهل بالدين، فرد عليه العلماء وردوا علىٰ الجهمية وألَّفوا الكتب في الرد علىٰ الجهمية، هؤلاء هم المعطلة، هم رؤوس المعطلة، هذا معنىٰ التعطيل: الإنكار، ينكر أسماء الله هم (الجهمية)، ينكر الصفات دون الأسماء المعتزلة، ينكر بعض الصفات ويثبت بعض هؤلاء الأشاعرة والماتوريدية، فنحن يعني أهل السُّنَّة والجماعة طريقتهم إثبات ما فيه

إنكار، إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله محمد -صلىٰ الله عليه وسلم- من الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلىٰ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، هذا توحيد الأسماء والصفات.

بقي النوع الثالث: (تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ وَالعِبَادَةِ: وَهُوَ إِفْرَادُهُ وَحْدَهُ بِأَجْنَاسِ العِبَادَةِ، وَأَنْوَاعِهَا، وأفرادِها)، ثلاثة أشياء: أجناس، وأنواع، وأفراد العبادة، يعني العبادة كلها لله -سبحانه وتعالىٰ-، العبادة هي فعل الإنسان، فعل المخلوق أنا، وأنت وجميع البشر، هذا التعبد يكون لله -سبحانه وتعالىٰ-، وما معنىٰ أجناسها وأنواعها وأفرادها؟

أجناسها: العبادة؛ تكون إما بالقلب وإما باللسان، وإما بالجوارح العمل، وإما بالمال أيضًا؛ فالعبادة تكون قلبية، العبادات كثيرة، حسن الظن عبادة، سلامة الصدر عبادة، التوكل عبادة، الخوف والرجاء عبادة، الحب، حب الله، وحب رسوله عبادة، أين محلها؟ القلب.

النوع الثاني: أقوال، لا إله إلا الله محمد رسول الله، سبحان الله، اللهم صل علىٰ محمد، هذا قول.

الثالث: عملٌ مثل: الركوع، السجود، القيام، الطواف بالبيت، هذه أعمال.

إذن هذه أجناس، الأجناس تحتها أنواع، كيف أنواع؟ يعني: الصلاة نوع، الزكاة نوع، الصيام نوع، وهكذا.

أفراد: الصلاة أيضًا تنقسم إلىٰ أقسام، صلاة الفريضة، صلاة النافلة، صلاة الضحىٰ، صلاة الاستخارة، صلاة..، هذه أفراد، وكذلك الدعاء، الدعاء: عبادة قولية ومتعلقة بالقلب، كل العبادات متعلقة بالقلب؛ فالدعاء عبادة قولية هذا جنس وتحته أنواع الدعاء، الاستغاثة، وكذلك التضرع، وكذلك سؤال الحاجات، دعاء عبادة ودعاء مسألة، هذه أفراد وأنواع، فهناك مثلاً دعاء عند نزول المطر، هذا فرد من أفراد الأنواع، وهذا النوع يدخل تحت الجنس، فالجنس أعمُّ، ثم الأنواع تحت كل جنس نوع، ثم الأفراد تحت كل نوع أفراد، هذا معنىٰ التقسيمات هذه.

إذن الخلاصة ما هي؟ جميع التَّعبدات التي تتعبدها أنت بقلبك أو بلسانك أو بجوارحك لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله، لا لملك من الملائكة، مع أن الملائكة مقربون عند الله، ولا لرسول من الرسل، ولا لغيرهم من الخلائق، كل العبادات لله -سبحانه وتعالىٰ-، وهذا ليس واجبًا علي وعليك فقط، بل واجب علىٰ جميع الإنس والجن، علىٰ جميع الثَّقلين، فمن صرف شيئًا من العبادات لغير الله؛ فقد كفر بالله، لم يوحِّد الله -عز وجل-، حتىٰ لو وحد الله في الربوبية ووحَّد الله في أسمائه وصفاته، ثم دعا غيره وسجد لغيره وذبح لغيره، فهذا ليس بمسلم.

قال: (مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ أُلُوهِيَّتِهِ)؛ لأن الله -سبحانه وتعالىٰ- هو الكامل في جميع صفاته وأسمائه ومنها الله، وهو اسم الله الأعظم، الله هو الحي القيوم، هو الذي يُعبد، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فالله هو الحق، وهو الذي يستحق أن يُعبد، ومعنىٰ الله: أي ذو الألوهية والربوبية علىٰ خلقه أجمعين، فمعنىٰ الله، يعني بعض العلماء

قال: مشتق من الإله وسهلت الهمزة وأدغمت اللامان، فصارت الله، فهو اسم الله -سبحانه وتعالىٰ-، وهو معنىٰ أنه الذي يجب أن يُعبد وحده لا شريك له؛ ولهذا قال سبحانه عن نفسه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]، يعني: تصمد إليه جميع الخلائق، تحتاج إليه جميع الخلائق -سبحانه وتعالىٰ-، فهو الكامل في ألوهيته، فهو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له؛ ولهذا إذا قلنا لا إله إلا الله، ما معناها؟ إله يعني معبود، لا معبود بحقٍّ إلا الله، أو تقول لا معبودَ حقَّ إلا الله، أو تقول لا معبودَ يستحق العبادةَ إلا الله، أو لا معبود مستحقٌّ للعبادة إلا الله، كلها معاني متقاربة وصحيحة، فالله هو الذي يستحق العبادة وهو مستحق العبادة والله هو الإله الحق المعبود بحقٍّ وحده لا شريك له، إذا عُبد غيره؛ فقد عُبِد بالباطل.

قال: (فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ)، هنا الآن الشيخ انتقل وذكر لك أنواع التوحيد الثلاثة أنها داخلة في حدِّ التوحيد؛ أي تعريف التوحيد.

الآن انتقل إلىٰ مسألة جديدة، ما هي؟ انتبه يا طالب العلم، انتبه يا مسلم: الإيمان بالقضاء والقدر: مرتبط بإيمانك بتوحيد الربوبية، قال: (فَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: إِثْبَاتُ القَضَاءِ وَالقَدَرِ)، كيف؟ (وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الغَنِيُّ الحَمِيدُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ)، الله أكبر.

هذه المعاني نصوصها كثيرة في الكتاب والسُّنَّة، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، الله هو الذي يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، والله -سبحانه وتعالىٰ- هو المدبِّر الذي يدبر الأمر، وبيده مقاليد السموات

والأرض، بيده الملك -سبحانه وتعالىٰ-، وهو علىٰ كل شيء قدير، والله هو الغني الحميد، أما المخلوقون كلهم عاجزون، ليس لهم من الأمر شيء، ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ما معنىٰ القيوم؟ في سورة "الرعد" ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، فكل النفوس اليوم، وكل الذين ترونهم، الله هو الذي أقامهم، الله هو الذي خلقهم، الله هو الذي أوجدهم من العدم، الله هو الذي أمدَّهم بالنعم، الله الذي صرف عنهم النقم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وهذا من أدلة أيضًا قوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فُقراء إلىٰ الله -انتبه لهذه الكلمة- فقراء إلىٰ الله، الآن قلبك الآن، عينك، سمعك، بصرك، هذا النفس هذا، وكل شيء فيك، أنت لا تملك هذا الشيء، الله هو الذي دبَّرك علىٰ هذا التدبير، ليس لك من الأمر شيء؛ ولهذا من معنىٰ قولك: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، فمن تمام الإيمان بتوحيد الربوبية، الإيمان بهذه المعاني، وقول الشيخ هنا: (وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ)، (مِنْ كُلِّ وَجْهٍ) هو تنبيه علىٰ أوجه حاجتنا إلىٰ ربنا، حاجتنا إلىٰ الله؛ ليست حاجة عادية، لا، حاجة اضطرار، طبعًا فيه كثير من الناس ما يستشعرها ،وغالب الكفار بل كل الكفار لا يرونها ولا يفهمونها؛ ولهذا قال الله في سورة "اقرأ": ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧]، فجاء الرد عليه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾[العلق: ٨].

ولهذا تجد الإنسان، طفل من هؤلاء، لا تجد عنده أشياء إذا كبر وصار شابًّا وبدأ يتكلم أخذ يطعن في الله، وأخذ يتكلم في كذا، في الشباب أو عنده مال أو عنده جنود أو عنده قدرات، بدأ يتكلم في الدين وبدأ يعارض الرسل، وبدأ..، ثم إذا شاخ وتعِب وعجز أو جاءه المرض عرف فقره وبدأ يرجع، لكن ما ينفع إلا إذا تاب توبة نصوحة وأسلم، وهذا كثير حتىٰ بعض المسلمين مع الأسف يقع في هذا؛ ولهذا يجب علينا أن نستحضر حاجتنا وافتقارنا إلىٰ الله، وهذا من أعظم الأعمال الصالحة، شعور القلب بافتقاره إلىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ- كما قال الله عن موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، يعني :أنا مفتقر إلىٰ خيرك يا رب، هكذا كن يا أيها المسلم في كل أحوالك، مفتقر إلىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ-.

ما علاقة هذا بالقضاء والقدر؟

الجواب: أن الله -عز وجل- كتب في اللوح المحفوظ ،وعلم ما سيقع إلىٰ آخر كل شيء، علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وكتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، ولا يكون في هذا الكون شيء إلا بمشيئته -سبحانه وتعالىٰ-، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا من قدرة الله -سبحانه وتعالىٰ-؛ ولهذا قال العلماء: الإيمان بالقدر هو:(الإيمان بقدرة الرحمن)، هل هذا معناه أن نحتج بالقضاء والقدر علىٰ المعايب وعلىٰ الذنوب؟ لا، من قدرة أن جعل الله هذا الإنسان وحتىٰ الجني كذلك جعله مختارًا ويتصرف بقدرة عنده، تستطيع ترفع الماء وتنزله، تستطيع تقوم الآن وتترك الدرس وأنت جئت الآن باختيارك،

جئت للدرس لكن هذا بفضل الله عليك، وهكذا الصلاة تذهب للصلاة بفضل الله عليك، وهكذا الذي ذهب للفواحش والزنا ودور الَخنا، وذهب للسرقة ،والربا، ذهب باختياره، وكل هذا بقدر الله -سبحانه وتعالىٰ- وسيأتي إشارة إلىٰ هذا بعد قليل -إن شاء الله-.

قال: (وَدَخَلَ فِي تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَعَانِي الأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ للهِ تَعَالَىٰ الوَارِدَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالإِيمَانُ بِهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: إِيمَانٌ بِالأَسْمَاءِ، وَإِيمَانٌ بِالصِّفَاتِ، وَإِيمَانٌ بِأَحْكَامِ صِفَاتِهِ)، ثم شرح الشيخ قال: (كَالعِلْمِ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ ،وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ).

ثلاثة أشياء: عليم اسم من أسماء الله، ذو علم صفة الله العلم، ويعلم كل شيء هذا من آثار العلم، ما هو من صفات: (قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ، وَيَقْدِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَىٰ آخِرِ مَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ المُقَدَّسَةِ)، قال: (وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ :(إِثْبَاتُ عُلُوِّهِ) يعني :الصفات، (عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ).

يعني الشيخ يقول نحن نؤمن بكل ما ورد في كتاب الله وفي السُّنَّة من الأسماء والصفات ونؤمن بمعانيها اللائق بالله -سبحانه وتعالىٰ-، قال: (وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا: كَالسَّمْعِ، وَالبَصَرِ، وَالعِلْمِ، وَالعُلُوِّ وَنَحْوِهَا؛ وَالصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ: وَهِيَ الصِّفَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ كَالكَلَامِ، وَالخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا يَشَاءُ).

يعني لماذا ذكر الصفات الذاتية والصفات الفعلية؟ الأصل أننا نؤمن بها من دون تفصيل، نؤمن بها كلها لكن لما وجد من بعض الطوائف من أثبت الصفات الذاتية وأنكر الصفات الفعلية، قال العلماء: لا. نحن نُثبت الصفات الذاتية ونثبت الصفات الفعلية؛ لأنها وردت في الكتاب والسُّنَّة وبابها واحد، ما الفرق بين الذاتية والفعلية؟ الذاتية: هي التي لا تنفك عن الله، يعني ليست متعلقة بالمشيئة، فالله -عز وجل- هو الحي لا يمكن أن يتعلق هذا بالمشيئة وأن يكون في وقت حي، وفي وقت ليس بحي، لا. هو الحي دائمًا وأبدًا، هذه لا تنفك عن الله، كذلك السمع، البصر، إلىٰ آخره.

هناك صفات متعلقة بمشيئته، يعني :فعلها -سبحانه وتعالىٰ- وبيَّن أنه فعلها بمشيئته، مثالها: الكلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، هذا يسمىٰ ماذا؟ هذا الكلام الذي كلم الله به موسىٰ ليس دائمًا وأبدًا، لا، هو لما جاء موسىٰ، وهكذا أدلة كثيرة في صفة الكلام تدل علىٰ أنها صفة متعلقة بمشيئة الله، كذلك الخلق هو صفة ذاتية من جهة أن الله هو الخالق، لا يمكن في وقت أن يكون ليس بخالق، هو الخالق دائمًا وأبدًا، لكن خلق السموات والأرض كان في وقت، وخلقه الجبال، وخلقه آدم -عليه السلام- وخلقه ذريته هذا في كل حين إذا شاء الله -عز وجل-، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فهو متعلق بمشيئته.

كذلك الرحمة متعلقة بمشيئته، الله الرحمن، الله هو الرحيم دائمًا وأبدًا لكنه يرحم عباده، ويرحم من يشاء، فإذا أنزل المطر هذه رحمة الله، قال: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، وكذلك يوم القيامة تسعٌ وتسعون جزءًا من الرحمة جعلها الله

-عز وجل- في ذلك اليوم يرحم بها عباده؛ فالرحمة الآن التي يتراحم بها الخلق هي واحدة من مئة جزء، فرحمة الله واسعة، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، الاستواء علىٰ العرش متعلِّق بماذا؟ بمشيئته، إذن من الصفات الفعلية، النزول إلىٰ السماء الدنيا يكون في ثلث الليل الآخر، إذن هذا معنىٰ الصفات الفعلية.

قال: (وَأَنَّ جَمِيعَهَا تَثْبُتُ للهِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ)، حتىٰ الصفات الفعلية هي قائمة بذات الله، يعني الله -عز وجل- هو الموصوف بها؛ لأن الأشعرية والماتوريدية وكثير من أهل الكلام يقولون: نثبت صفات الفعل، ولكن يقول لا تقوم بالله -عز وجل-، بل هي منفكَّة عن الله مخلوقة، فإثباتهم غير صحيح؛ ولهذا الرد عليهم نقول لهم هذه الجملة كلها قائمة بالله؛ لأن الله -عز وجل- هو الذي يرحم، هو الذي استوىٰ علىٰ العرش، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاًّ﴾ [الفجر: ٢٢]، هو الذي يجيء يوم القيامة للفصل بين عباده، هذه صفات فعلية قائمة بالله -عز وجل-.

قال: (وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَقُولُ وَيَفْعَلُ، وَأَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، وإِذَا شَاءَ ،كَيْفَ شَاءَ)، يتكلم بما شاء يعني :من المعاني والكلمات، إذا شاء أي في الوقت الذي يشاءه الله، كيف شاء :بالكيفية التي يعلمها الله ولا يعلمها العباد، نحن لا نعلم كيف يتكلم الله، كل الصفات لا نعلم كيفيتها، ونمسك عن ذلك، تذكرون لما قلنا: من غير تكييف، هذا التكيف المحذور، لكن الله -عز وجل- يتكلم بكيفية يعلمها الله -سبحانه وتعالىٰ-، لكن العباد لا يعلمونها؛ ولهذا من صفة كلام الله شيء لا يعرفه العباد، قال الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- عن يوم القيامة:

«فيُنادِي الله -عَزَّ وجَلَّ- بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَن بَعُدَ كَما يَسْمَعُهُ مَن قَرُبَ»، وهذا ليس لأحد إلا لله -سبحانه وتعالىٰ-؛ لهذا لا يمكن أن نحيط بكيفية صفات الله -عز وجل-.

قال: (لَمْ يَزَلْ بِالكَلَامِ مَوْصُوفًا، وَبِالرَّحْمَةِ وَالإِحْسَانِ مَعْرُوفًا)، هذا صفة الكلام، انتقل بعدها لمسألة أخص ماهي؟ (القرآن)، قال: (وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ المُتَكَلِّمُ بِهِ حَقيقة) -سبحانه وتعالىٰ-، فالإيمان بالقرآن هو من الإيمان بالصفات؛ لأن من صفات الله الكلام ومن كلام الله القرآن والإيمان بالقرآن أيضًا: هو من الإيمان بالكتب؛ لأن القرآن كتاب الله -عز وجل-، أحد الكتب التي أنزلها وهو آخر الكتب نزولًا، وهذا القرآن نؤمن به بأنه منزَّل من عند الله، الله هو الذي تكلم به، الله هو الذي قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١- ٤]، إلىٰ آخر سورة "الفاتحة".

الله هو الذي قال: ﴿الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]، إلىٰ آخر سورة "البقرة"، الله هو الذي قال هذا القرآن، لم يقله جبريل، ولم يقله الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، ولم يخلق في شجرة أو في جبل أو يخلق في الهواء، ليس بمخلوق، هو كلام الخالق، هو صفة الله -سبحانه وتعالىٰ-، سمعَه جبريل من الله، فنزل به علىٰ قلب محمد -صلىٰ الله عليه وسلم-، وقراؤه علىٰ محمد، فقرأه -صلوات الله وسلامه عليه- علىٰ الناس، قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥].

وقال الله -عز وجل- في سورة "القيامة": ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩]، وقال تعالىٰ في سورة "الإسراء": ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، هذا القرآن العظيم نؤمن به منزَّل غير مخلوق، تكلم الله به، هو كلام الله منه بدأ، الله هو الذي ابتدأه، وإليه يعود آخر الزمان، يرفع من المصاحف -لا حول ولا قوة إلا بالله-، يرفع من الصدور، فلا يوجد من يقرؤه -نعوذ بالله من هذا الحال-، آخر الزمان تتغير الأمور -نعوذ بالله-، لا يبقىٰ في الأرض مؤمن.

(وَأَنَّهُ المُتَكَلِّمُ بِهِ حَقًّا)، الله هو الذي تكلم به، ليس مجازًا ؛كما يقوله بعض أهل البدع، فبعض المبتدعة يقول إنه عبارة عن كلام الله، عبارة وليس كلام الله حقيقة، هذه عبارة، الذي عبر بهذه العبارة جبريل أو الذي عبر بهذه العبارة محمد، لا، لا هذا الكلام باطل، القرآن هو كلام الله حقًّا ليس عبارة عن كلام الله، هو كلام الله، وبعض المبتدعة يقولون: هو حكاية كلام الله، لا، القرآن هو كلام الله، قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ما الذي يسمعه؟ هذا القرآن الذي يتلوه الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- ويتلوه المسلمون، فهؤلاء المبتدعة غلطوا هذه الأغلاط الشنيعة، فقالوا ليس هذا القرآن المنزل هو كلام الله حقيقة، لا، قالوا هذا مجاز ليس كلام الله، كلامهم باطل، كلامهم ضلال عظيم، احذروا منه؛ ولهذا الشيخ نبَّه عليه قال: وأن الله هو المتكلم به

حقًّا، لا يفنىٰ، ولا يبيد كلام الله -سبحانه وتعالىٰ-، ﴿قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

قال: (وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ أَعْلَىٰ، وَأَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَمَالِ عُلُوِّهِ وَكَمَالِ قُرْبِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ)، الجمع بين الإيمان بقرب الله -سبحانه وتعالىٰ- ومعيَّته والإيمان بعلوه وفوقيَّته، فالله فوق الخلق، فوق العرش، علىٰ العرش استوىٰ، ولكنه بكل شيء محيط، ﴿لاَ يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، فنؤمن بذلك ونؤمن بذلك، ولا يتنافىٰ هذا مع هذا، ولا نقول إن الله مختلط بالمخلوقين وأنه حالٌّ في الخلق ؛كما يقوله الكفار من الحُلولية ،وأهل وحدة الوجود، قولهم كفرٌ بالله؛ فالله -عز وجل- منزَّه عن أن يختلط بالمخلوقات، الله فوق خلقه، فوق عرشه، الرحمن علىٰ العرش استوىٰ، قال الله -عز وجل- عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١]، وهو مع فوقيته ليس معنىٰ كونه فوق عرشه وأنه عليٌّ علىٰ خلقه أنه لا يدري عنهم، لا، هو محيط بهم، وهو معهم، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، كيف معهم؟ يسمعهم، يراهم، يحيط بهم، لو شاء أهلكهم لأهلكهم لا يفوته شيء، ولا يعجزه شيء -سبحانه وتعالىٰ.

قال: (وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الأَسْمَاءِ .وَالصِّفَاتِ، وَالأَفْعَالِ، وَأَحْكَامِهَا)، الأفعال ما هي؟ أفعال الرب -سبحانه وتعالىٰ-، الآن نأخذ بعض الأمثلة من القرآن الكريم: انظر إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، هذه المخلوقات التي خلقها الله، هذا النبات، هذا الهواء الذي يحركه الله، هذه الرياح، وهذه السحب، وهذا المطر إلىٰ آخر المخلوقات، كلها تجري بأمر الله -سبحانه وتعالىٰ- وتدبيره، ومن أفعال الرب -سبحانه وتعالىٰ- المشيئة، يفعل ما يشاء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، فما أراده الله فَعله؛ فأفعال الله -عز وجل- باب الأفعال أو سَمِّه باب الصفات؛ لأن الصفات جاء النص عليها بالكتاب والسُّنَّة بإضافةٍ إلىٰ الرب -سبحانه وتعالىٰ-، أما الأفعال جاء ذكرها إما بصيغة مصدر أو اسم فاعل أو نحو ذلك.

ومن ذلك قول الله -عز وجل- عن الجبال، وأنه -جل وعلا- يوم القيامة يفنيها، قال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا﴾[طه: ١٠٥]، ﴿يَنسِفُهَا﴾ هذا فعل، ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا﴾، يذرُها فعل، ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لاَ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦، ١٠٧]، وهكذا تجد في القرآن والسُّنَّة أفعالاً تُضاف إلىٰ الربِّ -سبحانه وتعالىٰ- نحن نؤمن بها.

يقول الشيخ: (عَلَىٰ وَجْهٍ يَلِيقُ بِعَظَمَةِ البَارِي، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ فَلَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ)، انتقل الشيخ إلىٰ شبهة عظيمة عند أعداء الملَّة ومن شابههم من المبتدعة، ما هي الشبهة؟ ظنهم أن هذا يعارض العقل -ظنهم أن هذا يعارض العقل.

قال الشيخ: (وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ فِي بَعْضِ العَقْلِيَّاتِ مَا يُوجِبُ تَأْوِيلَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْنَاهَا المَعْرُوفِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا)، من هذا الظَّان الذي ظن هذا

الظَّـن؟ أولُهـم: (الجهميـة)، ومـا سـبب هـذا الظـن؟ سـأقول لكـم السـبب بالقصـة المشهورة عن جهم بن صفوان، وليست مجرد التسلِّي بالقصة لا، أنا أريدكم تنتبهـون للواقع المعاصر الآن.

الجهـم بـن صـفوان ذكـروا فـي ترجمتـه؛ أنـه ذهـب إلـىٰ الهنـد فوجـد قومًـا مـن الملاحدة من طائفة يقال لهم السمرية، يذكرونها العلماء بدون واو، السمرية وهي طائفـة تُنكـر مـا عـدا المحسوسـات، تقـول: مـا نثبـت إلا الأشـياء التـي نحسُّـها بالمحسوسـات الخمسـة المعروفـة: الـذوق، اللمـس، السـمع، البصـر، الشـم، هـذه المحسوسات نثبتها ما عداها مما يخفىٰ ننكِره، فقال مذهبهم باطل، والرد عليهم سهل، فجاء الجهم وكفر بالله، وترك الصلاة، كان يدَّعي الإسلام هو وترك الصلاة، وشك في الله أربعين يومًا، ثم أراد الردَّ عليهم بحجة يبطل بها مذهبهم، أراد الرد عليهم بحجة أخذها من كفرة الفلاسفة، وكفرة اليهود، فرد عليهم، والتزم بهذه الحجة وظن أنه لا يمكن الرد عليهم إلا أن نقول بهذه الحجة الفلسفية اليهودية، فأنكر الأسماء وأنكر الصفات، فأنكر أسماء الله وأنكر صفات الله بدعوىٰ أنه يرد علىٰ الملاحدة -فهمتم-، ثم صار علىٰ نهجه من جاء بعده، بشر المريسي، أحمد بن أبي دؤاد، رؤوس المعتزلة، رؤوس حتىٰ الأشعرية تجدهم يتمسكون بعلم الكلام، وبقواعد المنطق والفلسفة بحجة الرد علىٰ مَن؟ الملاحدة، يظنون أن هذه النصوص لا تفيد إلا من أسلم، إذا أسلم يعني يقر بالنصوص فبالتعريف، أما من لم يُسلم فكيف نحتج بالنصوص؟ هذا المسلك أصل ضلال لهؤلاء كلهم، النصوص الشرعية مليئة

بالأدلة والبراهين العقلية، وهذا ما نرجو الله -سبحانه وتعالىٰ- أن ييسر نقرأ في الدرس بعد قليل بعض من هذه البراهين.

ولذلك الآن بعض المنتسبين للسُّنَّة -هداهم الله- إذا أراد الردَّ علىٰ الملاحدة يزين لطلابه ومحبيه، يزين لهم علم الكلام ويقول لهم لا يتيسر لنا الرد علىٰ الملاحدة إلا عبر علم الكلام، ثم يقول لا بدَّ أن نقرأ ما كتبه الجويني أو ما كتبه الغزالي أو ما كتبه فلان وعلان من علماء الكلام حتىٰ نرد علىٰ الملاحدة، فضلُّوا هم، وأضلوا خلقًا كثيرًا معهم، فحذاري حذاري من هذا المنهج.

قال الشيخ ابن السعدي هنا ردًّا علىٰ هذا المنهج من أوله إلىٰ آخره، قال: (وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ فِي بَعْضِ العَقْلِيَّاتِ مَا يُوجِبُ تَأْوِيلَ بَعْضِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْنَاهَا المَعْرُوفِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا) - احفظوا هذه القاعدة-، في كتاب كبير من تسع مجلدات أو عشر مجلدات "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية خلاصته هذا السطر العظيم، لكن من أراد التوسع والفائدة –يقرأ، لكن بعد التدرُّج العلمي الذي ذكرته لكم.

ننتقل إلىٰ فقرة جديدة قال الشيخ، وهذا ما ذكرته لكم من أنه متعلق بالقدر: (وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّىٰ يَعْتَقِدَ العَبْدُ أَنَّ أَفْعَالَ العِبَادِ مَخْلُوقَةٌ للهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ، وَأَنَّ لَهُمْ أَفْعَالاً وَإِرَادَةً تَقَعُ بِهَا أَفْعَالُهُمْ؛ وَهِيَ مُتَعَلَّقُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَنَافَىٰ الأَمْرَانِ: إِثْبَاتُ مَشِيئَةِ اللهِ العَامَّةِ الشَّامِلَةِ لِلذَّوَاتِ وَالأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ، وَإِثْبَاتُ قُدْرَةِ العَبْدِ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ)، والله أكبر، وهذا هو الحق الوسط بين مذهب القدرية الضالين، ومذهب الجبرية التائهين الحيارَىٰ، كل المذهبين باطل وهدىٰ الله أهل السُّنَّة والجماعة ،والسلف الصالح للحق المستقيم وهو الصراط المستقيم،

الجمع بين الإيمان بمشيئة الله الشاملة النافذة العامة وقدرته الكاملة، وبين الإيمان بإثبات أفعال العباد بمشيئتهم، وأنها تابعة لمشيئة الله، وهذا واضح في قول الله -عز وجل- في سورة "التكوير": ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾ أثبت مشيئة العبد، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، مشيئتكم لا تكون إلا تابعة لمشيئة الله، فلا تنفي مشيئة العبد، تقول العبد مجبور، ما عنده مشيئة، لا، هذا كلام باطل، العبد له مشيئة، أنت الآن تجد هذا في نفسك، كيف تُكابر؟ تقول ما عندي مشيئة، أنت تجد هذا، في شيء تذهب، لشيء تجيء، ترفع هذا، تنزل هذا، تخفض، تكتب، هذه مشيئة، أفعال العباد -هذا قدرة الرحمن سبحانه وتعالىٰ-، هل رأيتم الـ"reboot" الإلكتروني يسمون شيئًا"reboot" جهاز إلكتروني يعبئونه أوامر، هذه آلة ليس عندها مشيئة وليس عندها اختيار، وحتىٰ القدرة التي فيها هي ناتجة عن تدبير من الإنسان بطريقة معينة؛ ولهذا انتهت البطارية فشلت، وإذا انتهت الأوامر توقفت، هذه ما عندها مشيئة، برمجة يبرمجها الذي صنعها، أنت أيها الإنسان مخلوق عجيب خلقه الله القادر علىٰ كل شيء.

ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: "القدر هو قدرة الرحمن"، وحتىٰ قال ابن عقيل: وهو من العلماء المشهورين من الحنابلة، قال: "من أحسن ما قيل في تعريف القدر هذه الكلمة العجيبة، القدر: (قدرة الرحمن)-سبحان الله العظيم-، أن الله -عز وجل- يخلقك ويجعل فيك إرادة ومشيئة واختيار تختار بها الأشياء، وكذلك قدرة، يعني فيك صفتان أيها الإنسان وحتىٰ الجني كذلك، الصفة الأولىٰ هي المشيئة

والاختيار، أنت الآن تجد هذا، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، الصفة الثانية ما هي ؟القدرة، طبعًا هذا تفصيله في كتب الاعتقاد بتوسع لكن هنا الإشارة إلىٰ أن هذا من الإيمان بالله -عز وجل-، الإيمان بالقدر خيره، وشره، فلا يتنافىٰ إثباتنا لمشيئة الله النافذة مع إقرارنا بقدرة العبد، ومشيئته.

ختم الشيخ هذا الأصل بالكلام العظيم، قال: (وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ العَبْدِ حَتَّىٰ يُخْلِصَ العَبْدُ للهِ تَعَالَىٰ فِي إِرَادَتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ) -الله أكبر-، انظر إراداتك أنت، إراداتك التي داخل قلبك هذه، وأقوالك، وأفعالك تُخلصها لله -عز وجل-، (وَحَتَّىٰ يَدَعَ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ)، بدأ الشيخ بالشرك الأكبر قبل الأصغر؛ لأن الشرك الأكبر يُحبط الأعمال، (المُنَافِيَ لِلتَّوْحِيدِ كُلَّ المُنَافَاةِ؛ وَهُوَ أَنْ يَصْرِفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ)، رأيت كيف طريقة السلف؟ منهجهم واحد، صرف العبادة لنوع واحد منها لغير الله شرك أكبرُ ينقضُ الإسلام، ينقض كل شيء؛ فحافظ علىٰ هذا الكنز، حافظ علىٰ توحيدك، حافظ علىٰ إسلامك.

قال: (وَكَمَالُ ذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ: وَهُوَ كُلُّ وَسِيلَةٍ قَرِيبَةٍ)، لعلها يعني: (قَرِيبَةٍ) كلمة زائدة هذه، (يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ؛ كَالحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَيَسِيرِ الرِّيَاءِ ،وَنَحْوِ ذَلِكَ).

ثم قال الشيخ: (وَالنَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ عَلَىٰ دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ)، من أين نأخذ هذا؟ قال: (التَّوْحِيدِ عَلَىٰ دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ) من القرآن العظيم، درجات الموحدين ذكرت في سورة واحدة، في سورة واحدة ذكرت الدرجات الثلاث، وذُكر في سور القرآن في مواضع كثيرة درجات المؤمنين درجتان، والكافرين تُذكر درجتان، لكن

الموحدين تذكر ثلاث درجات في سورة واحدة، سورة "فاطر"، فذكر الله درجات الموحدين وأنهم متفاوتون: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، يعني أمة محمد -صلىٰ الله عليه وسلم- ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

قال الشيخ هنا: (بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَالقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ) -الله أكبر-، ما يكفي المعرفة، تقول؛ عرفت حتىٰ من الأشياء المشهورة يقول؛ العارف بالله، ما يكفي المعرفة، مع المعرفة ماذا؟ القيام بعبوديته، (وَالقِيَامِ بِعُبُودِيَّتِهِ، فَأَكْمَلُهُمْ فِي هَذَا البَابِ مَنْ عَرَفَ)، شوف الشيخ يذكر المعرفة، ثم يذكر العمل بعد المعرفة، (مَنْ عَرَفَ مِنْ تَفَاصِيلِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَآلَائِهِ وَمَعَانِيهَا الثَّابِتَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَهِمَهَا فَهْمًا صَحِيحًا؛ فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ جَمِيعِ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، هذه المعرفة.

ثم قال: (وَوَقَعَتْ)، هنا العمل (وَوَقَعَتْ جَمِيعُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ فِي كَمَالِ الإِيمَانِ، وَالإِخْلَاصِ التَّامِّ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الأَغْرَاضِ الفَاسِدَةِ)، ما عنده غرض دنيوي، هو يريد ما عند الله (فَاطْمَأَنَ إِلَىٰ اللهِ)، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

قال: (فَاطْمَأَنَ إِلَىٰ اللهِ مَعْرِفَةً وَإِنَابَةً، وَفِعْلاً وَتَرْكًا، وَتَكْمِيلاً لِنَفْسِهِ)، ثم ختمها بهذا الكلام الطيب، (وَتَكْمِيلاً لِغَيْرِهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ هَذَا الأَصْلِ العَظِيمِ)، الدعوة إلىٰ الله؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١- ٣]، فقط، لا، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، الدعوة إلىٰ الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكرها الباب الرابع في كتاب "التوحيد"، ذكرها في مقدمة الأبواب، في الدعوة إلىٰ الله -عز وجل-، وهذا هو :سبيل الرُّسل، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ: (فَنَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَكَرَمِهِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ)، اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

إذا قلنا إن الله -عز وجل- معبود بحق، أو إن الله -عز وجل- هو المعبود الحق، هذا لا إشكال فيه، المعبود بحق الله -سبحانه وتعالىٰ-، والمعبود الحق: هو الله -سبحانه وتعالىٰ-، وإذا قلنا الله -عز وجل- يستحق العبادة، ليس معناه أن نحن الذين نقرِّر هذا؛ لأن الله:(هو الذي قرر هذ)، والدليل علىٰ هذا أن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- قال لمعاذ بن جبل: «مَا حَقُّ اللّهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟»، فقال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقَّ اللّهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، فالله يستحق هذا ليس معنىٰ كوننا نقول مستحق أو يستحق أننا نحن الذين نقرر هذا لربنا وليس مقررٌ في الشرع، لا، الله -عز وجل- هو الذي قرر هذا، وهو المستحق وحده لا شريك له.

❊ ❊ ❊

{الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله تعالىٰ-: (الأَصْلُ الثَّانِي: الإِيـمَانُ بِنُبُوَّةِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عُمُومًا، وَبِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خُصُوصًا.

وَهَـذَا الأَصْـلُ مَبْنَاهُ عَلَىٰ أَنْ يَعْتَقِدَ وَيُؤْمِنَ بِـأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ قَدِ اخْتَصَّـهُمُ اللهُ بِوَحْيِهِ وَإِرْسَـالِهِ، وَجَعَلَهُـمْ وَسَـائِطَ بَيْنَهُ وَبَـيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ، وَأَنَّ اللهَ أَيَّدَهُمْ بِالبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَصِحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ، وَأَنَّهُـمْ أَكْمَـلُ الخَلْـقِ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَأَصْدَقُهُمْ وَأَبَرُّهُمْ، وَأَكْمَلُهُـمْ أَخْلَاقًا وَأَعْمَـالاً، وَأَنَّ اللهَ خَصَّـهُمْ بِخَصَـائِصَ وَفَضَائِلَ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَأَنَّ اللهَ بَرَّأَهُمْ مِنْ كُـلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، وَأَنَّهُـمْ مَعْصُـومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبَرِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الحَقُّ وَالصَّوَابُ.

وَأَنَّهُ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِمْ، وَبِكُلِّ مَا أُوتُوهُ مِنَ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ؛ وَأَنَّ هَـذِهِ الأُمُورَ ثَابِتَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّـدٍ -صَـلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- عَلَـىٰ أَكْمَـلِ الوُجُـوهِ، وَأَنَّـهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَالإِيمَانُ بِذَلِكَ، وَالْتِزَامُ طَاعَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ بِتَصْدِيقِ خَبَرِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

وَمِـنْ ذَلِـكَ أَنَّـهُ خَـاتَمُ النَّبِيِّـينَ؛ قَـدْ نَسَـخَتْ شَـرِيعَتُهُ جَمِيـعَ الشَّـرَائِعِ، وَأَنَّ نُبُوَّتَـهُ وَشَرِيعَتَهُ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَلَا شَرِيعَةَ غَيْرَ شَرِيعَتِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ)}.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال -رحمه الله-: (الأَصْلُ الثَّانِي: الإِيـمَانُ بِنُبُوَّةِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عُمُومًا، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خُصُوصًا).

الأصل الثاني؛ يعني بعد الأصل الأول، الأصل الأول هو فيما يتعلق بتوحيد الله -عز وجل-، والفصل الثاني في إثبات النبوة، والكلام في إثبات النبوة من جهتين:

الأولىٰ: إثبات نبوة جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

الثانية: إثبات نبوة نبينا محمد -صلىٰ الله عليه وسلم- علىٰ وجه الخصوص.

وهذا الأصل الكبير معناه: أنه يعتقد المؤمن والمسلم أن جميع الأنبياء الذين ذكرهم الله -عز وجل- في كتابه أو ذكرهم رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم- يؤمن بهذه الأمور التي أوردها الشيخ، وهي ثمانية.

الأول: أن الله اختصَّهم بوحيه وإرساله، فهم مصطفوْن، قال الله -عز وجل-: ﴿اللَّـهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فالنبوة اصطفاء واختصاص من الله لهؤلاء وهم أشرف الخلق.

قال الثاني، المسألة الثانية: (وَجَعَلَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ)، فلا يمكن أن نعرف ما يحبه الله وما يشرعه ولا يمكن لجميع الأمم إلا بطريق الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ فهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الشرع والدين، فالواسطة بين الله وبين خلقه واسطتان: واسطة مثبتة حق، وواسطة منفية

وهي باطلة، أما المثبتة هذه: تبليغ الشرع والدين، أما المنفية: في العبادة؛ فلا نعبد غير الله ونجعله واسطة بيننا وبين الله، هذه واسطة منفية.

فإذا قيل لك: هل هناك بين الله وبين خلقه واسطة؟ فتقول فيه تفصيل: إن كان في تبليغ الشرع والدين، فنعم، لا يمكن أن نعرف شرع الله ودينه إلا بواسطة رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم-، وإن كان في العبادة والتقرب فلا نتقرب إلىٰ غير الله أبدًا، لا يوجد واسطة؛ يرفع أعمالنا ويقبل صدقاتنا، لا؛ نتوجه إلىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ- مباشرة، ندعوه ونرجوه ونسجد له، ونصلي له، ونزكي له.. إلىٰ آخره.

الثالث قال: (وَأَنَّ اللهَ أَيَّدَهُمْ)، يعني تؤمن وتوقن وتعتقد أن الله أيدهم (بِالبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَصِحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ)، فكل رسول وكل نبي يعطيه الله -عز وجل- من الآيات ما علىٰ مثله يؤمن البشر، وتتنوع هذه البراهين وهذه الآيات والأدلة علىٰ نبوتهم، تتنوع بحسب ما يحتاجه كل أمة؛ ولهذا موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- أعطاه الله آيات لم يعطها عيسىٰ، وعيسىٰ أعطاه الله -عز وجل- آيات لم يعطها موسىٰ، ومحمد -صلىٰ الله عليه وسلم- أعطاه الله -عز وجل- آيات لم يعطها من قبله، وأعظمها القرآن كما جاء في الحديث «ما من نبيٍّ من الأنبياء، إلا وقد أُوتي من الآيات ما علىٰ مِثلُه يؤمن البشرُ، غير أن الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، وأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ»، ومع ذلك فقد أعطاه الله -عز وجل- آيات أقوىٰ من الرسل الذين قبله -عليهم وعليه الصلاة والسلام-.

المسألة الرابعة، قال: (وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُ الخَلْقِ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَأَصْدَقُهُمْ وَأَبَرُّهُمْ، وَأَكْمَلُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَعْمَالاً)، هذه المسألة كمال الرسل وفضلهم، وأنه لا يمكن أحد أن

يلحقهم؛ فأكمل الناس إيمانًا من غير الرسل والأنبياء هم الصديقون والصالحون، فمهما بلغ صلاحهم ومنزلتهم فلا يصلون إلىٰ مرتبة النبوة، فمرتبة النبوة أعلىٰ وأكمل، وهنا ضل بعض المتصوفة فقالوا: مقام الولي في برزخٍ، فُوَيقَ الرسولِ ودون النبي، فعندهم أعلىٰ مرتبة: الرسول، ثم الولي، ثم النبي، وبعض غلاتهم يجعل نفسه أعظم حتىٰ من الرسول بقوله: الرسول يأخذ عن جبريل، عن الله، وأنا آخذ عن الله مباشرة، وهذا من الكفر؛ ولهذا نحن نكفر بهذه الأقوال ونتبرأ من أصحابه، ونقول: أكمل الخلق علمًا وعملاً وأصدقهم وأكملهم أخلاقًا وإيمانًا هم الرسل والأنبياء، ولا أحد يلحقهم أبدًا، فأفضل الأولياء علىٰ وجه الأرض وعلىٰ مر التاريخ هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، وأبو بكر الصديق لا يمكن أن يبلغ مرتبة نبي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

قال في المسألة الخامسة: (وَأَنَّ اللهَ خَصَّهُمْ بِخَصَائِصَ وَفَضَائِلَ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَأَنَّ اللهَ -عز وجل- بَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ)، فهذا مما نوقن به ونعتقده أن لرسولنا -صلىٰ الله عليه وسلم- خصائص اختصه الله بها، وهكذا الرسل، وأن له فضائل فضله الله -عز وجل- بها، وأن الله -عز وجل- برأهم من كل خلق رذيل، لا يمكن أن يوجد فيهم خُلق رذيل أبدًا، فهم القمة في البشر -عليهم الصلاة والسلام-، وفي هذا الرد علىٰ من يزعم أن النبوة مكتسبة، وأنها مثل الصنائع العالية الجيدة وأنها مكتسبة تُكتسب بالتعب والاجتهاد وبذل الزكاة والجهد، ولا الكفار ومن أشهرهم ابن سبعين وهو من غلاة الصوفية وغيرهم من الضُّلال الذين ادعوا النبوة، فهؤلاء كلهم كفار نكفر بهم ونبرأ إلىٰ الله منهم.

وبعض الباطنية والفلاسفة يقولون بذلك، وابن عربي الملحد المشهور الصوفي كان يقول أقوالاً أشنع من هذا محفوظة عنه ومكتوبة، وفي هذا كله نقرأ هذه الآية من سورة "الأنعام" ونتذكر هؤلاء المجرمين، قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، لا أحدَ أظلم من هؤلاء، فهؤلاء أكفر الخلق وأكذبهم وأشدهم بهتانًا.

المسألة السادسة: قال: (وَأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ)، يعني أن الله -عز وجل- يحفظهم ويعصمهم، فلا يقع فيما يبلغونه عن الله أي خطأ أبدًا.

السابعة: قال: (وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبَرِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الحَقُّ وَالصَّوَابُ)، الحمد لله.

الثامنة: قال: (وَأَنَّهُ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِمْ، وَبِكُلِّ مَا أُوتُوهُ مِنَ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ)، يعني نحن نحب الرسل كلهم ونؤمن بهم كلهم ونحبهم ونعظمهم التعظيم اللائق بهم، لا نعبدهم من دون الله ولا نستهين بهم أو نستخف بهم أو نُكذِّب واحدًا منهم، هذه الأمور الثمانية لجميع الرسل.

قال: (وَأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ ثَابِتَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ أَكْمَلِ الوُجُوهِ)، لكن نضيف إليها هذه الأشياء الثلاثة، قال: (وَأَنَّهُ يَجِبُ مَعْرِفَةُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً)، هذا من الأشياء التي تختص بالرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- محمد، فما جاء به من الشرع جملة -يعني إجمالاً-، وتفصيلاً -أحكام العبادات، المعاملات إلىٰ آخره، كل هذه الأمور نؤمن بها ونعرفها ونعمل بها.

قال: (وَالإِيمَانُ بِذَلِكَ) هذه الفقرة الأخرىٰ، (وَالْتِزَامُ طَاعَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ بِتَصْدِيقِ خَبَرِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ)؛ ولهذا يحفظ المسلمون معنىٰ قول: أشهد أن محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

قال: (وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ قَدْ نَسَخَتْ شَرِيعَتُهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ، وَأَنَّ نُبُوَّتَهُ وَشَرِيعَتَهُ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَلَا شَرِيعَةَ غَيْرَ شَرِيعَتِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ)، هو خاتم الأنبياء والرسل، وهذا اعتقادٌ جازم يجزم به المؤمن، فكل من ادَّعىٰ الرسالة أو ادعىٰ النبوة فهو كذاب، دجال، فقد ادعىٰ النبوة كثيرون لكن من صار له أتباع لم يبلغ عددهم قريب من الثلاثين، ولذلك النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- قال: أنه سيخرج بعده دجالون ثلاثون يدَّعون النبوة، يعني يكون لهم شأن، يكثر أتباعهم، ثم يهلكهم الله -عز وجل-، ومن أشهرهم مسيلمة الكذاب، وفي زمننا هذا هناك من ادعىٰ النبوة بعضهم من المجانين أو من الممسوسين، وهؤلاء لا عبرة بهم، وهناك من قال رسالة ثانية بعد رسالة النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، وبعضهم يدعي أنه المهدي المنتظر، ثم يحلو له أن يدعي النبوة، وهؤلاء كلهم كفار نكفر بهم ونتبرأ إلىٰ الله منهم، ونبوته -صلىٰ الله عليه وسلم- وشريعته باقية إلىٰ قيام الساعة، يعني لا تنسخ ولا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الملوك وتغيرت الدول، تذهب دول، تجيء دول، يذهب ملك، يجيء ملك، يذهب عالم ويجيء عالم، تذهب أمة وتجيء أمة، الدين واحد ما يتغير، دين الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- واحد، والإسلام باقٍ ونثبت عليه، هكذا يكون المؤمن ما يتغير عن هذا قيد أَنمُلة.

{(وَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الإِيمَانُ بِالكُتُبِ؛ فَالإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْتَضِي الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، فَلَا يَتِمُّ الإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ عِلْمًا بِذَلِكَ، وَتَصْدِيقًا وَاعْتِرَافًا وَعَمَلاً، كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا، وَالإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ وَالقَدَرِ دَاخِلٌ فِي هَذَا الأَصْلِ العَظِيمِ)}.

قال: (وَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ)؛ لأن الآن هو يتكلم عن الأصل الثاني: النبوة، يعني لما تؤمن بنبوة الأنبياء ونبوة نبينا محمد -صلىٰ الله عليه وسلم-، يدخل في ذلك الإيمان بالكتب؛ فعيسىٰ أنزل الله عليه الإنجيل، وموسىٰ أنزل الله عليه التوراة، وإبراهيم أنزل الله عليه الصحف، صحف إبراهيم، وداود أعطاه الله -عز وجل- الزبور، ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، هذه سميت لنا، هناك كتب أخرىٰ لم تسمَّ لنا، فكل ما أوحىٰ الله إلىٰ أنبيائه فهو حق، والإيمان بمحمد -صلىٰ الله عليه وسلم- علىٰ وجه الخصوص يقتضي أن تؤمن بالقرآن العظيم، وكذلك بالسنة وهي الوحي الثاني، قال تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

(يَقْتَضِي الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا)، يعني اللفظ والمعنىٰ تؤمن به، ما تقول آخذُ باللفظ والمعنىٰ ليس له معنىٰ، لا أدري عن المعنىٰ كما يقول المفوضة، لا المعنىٰ معروف.

ثم قال: (فَلَا يَتِمُّ الإِيمَانُ بِهِ) يعني بمحمد -صلىٰ الله عليه وسلم- (إِلَّا بِذَلِكَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ عِلْمًا بِذَلِكَ، وَتَصْدِيقًا وَاعْتِرَافًا وَعَمَلاً، كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا)، كلما درست الكتاب والسُّنَّة، حفظت القرآن ودرست التفسير الصحيح وحفظت ما تيسر لك من أحاديث الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- وتعلمتها وفهمت معانيها عن

طريق العلماء الذين شرحوها والعلماء الموثوقين؛ كلما زاد إيمانك، فهذه من أعظم ما يزيد الإيمان ويقويه ويثبته، قال: (وَالإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ وَالقَدَرِ دَاخِلٌ فِي هَذَا الأَصْلِ العَظِيمِ)، يعني أصل إثبات النبوة، حين تُثبت نبوة النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- وتؤمن به يدخل في ذلك الإيمان بما أخبر، ومن ذلك أنه أخبر عن الملائكة، فتؤمن بالملائكة وأسمائهم وأعمالهم وما وُكل إليهم وتحبهم وتؤمن بالصفات التي وردت في الكتاب والسُّنَّة، هذا داخل في هذا الأصل، كذلك القَدر -كما تقدم-.

{(وَمِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ بِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ، أَوْ حِسِّيٌّ عَلَىٰ خِلَافِهِ كَمَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ عَلَىٰ خِلَافِهِ؛ فَالأُمُورُ العَقْلِيَّةُ، أَوِ الحِسِّيَّةُ النَّافِعَةُ تَجِدُ دَلَالَةَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُثْبِتَةً لَهَا، حَاثَّةً عَلَىٰ تَعَلُّمِهَا وَعَمَلِهَا، وَغَيْرُ النَّافِعِ مِنَ المَذْكُورَاتِ لَيْسَ فِيهَا مَا يَنْفِي وُجُودَهَا، وَإِنْ كَانَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ يَنْهَىٰ وَيَذُمُّ الأُمُورَ الضَّارَّةَ مِنْهَا)}.

قال: (وَمِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ بِهِ) يعني بالنبي -صلىٰ الله عليه وسلم- (أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ)، كل ما جاء به النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- فهو حق، (لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ، أَوْ حِسِّيٌّ عَلَىٰ خِلَافِهِ)، فهناك من يزعم أن العقل يعارِض بعض الشريعة أو بعض ما ورد في شريعة النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، وهؤلاء علىٰ قسمين: إما كفار من الملاحدة أو من كفرة الفلاسفة أو من كفرة اليهود أو من كفرة النصارىٰ، يأتون بأمور يزعمون أن العقل يناقض ما جاء به أو بعض ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، ولا حاجة إلىٰ ذكر الأمثلة؛ لأن الوقت يضيق، لكن هذه القاعدة أفهمها، هذا فهم مغلوط وقصدهم سيء، فاجتمع فيهم سوء القصد وسوء

الفهم، وكذلك لا يقوم دليل حسي علىٰ خلاف ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وانظروا الآن، كيف الآن المخترعات الحديثة: الكهرباء، الاتصالات، التواصل هذا الذي يكون بين الناس والابتكارات والطائرات والأمور الحربية والأمور الطبية والأمور الهندسية، أشياء جديدة محسوسة يرىٰ الناس منافعها، لا يوجد شيء يُناقض ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- أو لا يوجد في الشرع ما يمنع الأشياء النافعة المفيدة أبدًا، وهذا الدليل علىٰ كمال ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وأنه كله حق -ولله الحمد-، فلا يوجد دليل عقليٌّ ولا يوجد دليل حسيٌّ علىٰ خلاف ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-.

ثم قال الشيخ: (كَمَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ)، ما معنىٰ النقلي؟

يعني من الشرع نفسه، من القرآن أو من السُّنَّة علىٰ خلاف الشريعة، يعني لا يوجد تناقض في الشريعة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١، ٢].

أيضًا الشرع لم يرفض العقل، الشرع الذي جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- القرآن والسُّنَّة لا يرفض العقل، بل كل عقل صحيح سليم من الشذوذ والمناقضة تجد أن الشرع يحثُّ علىٰ المنافع، بل يحثُّ علىٰ التفكر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، يعني العقل، فالعقول السليمة الشرع يؤيدها، وكذلك

قال: (فَالأُمُورُ العَقْلِيَّةُ، أَوِ الحِسِّيَّةُ النَّافِعَةُ تَجِدُ دَلَالَةَ الكِتَابِ وَالسُّنَةِ مُثْبِتَةً لَهَا، حَاثَّةً عَلَىٰ تَعَلُّمِهَا وَعَمَلِهَا).

انظر الآن: علم الطب مفيد للمسلمين، مفيد للبشرية، تجد الشرع يحث علىٰ المنافع بل دل علىٰ أصول الطب، ذكر هذا ابن القيم في الطب النبوي في "زاد المعاد" راجع كلامه، تجد مثلاً علم البناء وعلم الهندسة وعلم الصناعة والعلوم الأخرىٰ المفيدة، تجد أن الشرع دل علىٰ الاستفادة منها وحثَّ علىٰ ذلك ولم يمنع ذلك -ولله الحمد-، ما هو الممنوع؟ إنما غير النافع أو الضار، غير النافع يعني الذي لا ينفع ولا يضر، هناك علوم لا تنفع ولا تضر، وفيه علوم تضر ولا تنفع، أو يكون نفعها قليلاً، فغير النافع لم يأتِ في الشرع ما ينفي وجوده، لكن لم يأتِ حثٌّ عليه أو منعٌ منه، لكن ورد في الشرع النهي عن إضاعة الوقت أو اللغو، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، فهناك علوم تُعتبر لا تنفع المجتمعات ولا تنفع البشرية ولا تنفع صاحبها، لكنها لا تضر، فهذا من اللغو لا تُضيِّع وقتك فيه إذا كان ما ينفع ولا يضر، وهناك علوم ضررها واضح، ومن أخطرها السحر هو علم، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ [البقرة: ١٠٢]، علم السحر وهو كفر بالله؛ لأنه يتضمن الشرك.

كذلك من العلم الضَّار الكَهانة والتَّنجيم وادِّعاء علم الغيب عن طريق النجوم، وكذلك من العلم الضَّار علم الفلسفة أو علم المنطق، فهو علم ضارٌّ، كذلك علم الكلام، يقول الشافعي محمد بن إدريس -رحمه الله-: حُكمي في علماء الكلام أن يُضربوا بالجَريد والنِّعال ويُطاف بهم في العشائر والأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنَّة وأقبل علىٰ علم الكلام، الشافعي المتوفَّىٰ سنة مائتين وأربعة

المولود سنة مئة وخمسين، يقول هذا الكلام وهكذا قال الإمام مالك وهكذا قال الأئمة كلهم، يحذِّرون من علم الكلام فضلاً عن علم الفلسفة وعلم المنطق، فكل هذه علوم ضارة؛ لأنها تشوش علىٰ العقل، ولكن بعض الناس يطلق الأشياء التي تفيد يسميها الفلسفة، مثال ذلك الرياضيات والحساب والجبر والهندسة والعلوم المتعلقة بالطب، فيطلقون عليها فلسفة، لا، هذه علوم نافعة وليست من الفلسفة في شيء، فلو سُميت فلسفة فالناس يدرسونها بدون ما تسمىٰ الفلسفة، فعلوم الفلاسفة أغلبها علوم ضارة؛ لأنها تتعلق بالغيبيات ويتعلق بالخالق وإنكار الخالق وإنكار النبوة، هؤلاء ضلوا عن سواء السبيل.

قال: {(وَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَلْ وَسَائِرُ الرُّسُلِ الإيمان بالله واليوم الآخِر؛ فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ فَإِنَّهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ؛ كَأَحْوَالِ البَرْزَخِ، وَأَحْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالمِيزَانِ، وَالصُّحُفِ المَأْخُوذَةِ بِاليَمِينِ وَالشِّمَالِ، وَالصِّرَاطِ، وَأَحْوَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَحْوَالِ أَهْلِهَا، وَأَنْوَاعِ مَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، فَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ)}.

يقول -رحمه الله-: (وَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَلْ وَسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ)؛ لأن الأنبياء كلهم جاءوا به؛ الإيمان باليوم الآخر، وجعله الشيخ أصلاً مستقلاً وهو البعث بعد الموت، فكل ما جاء به الكتاب والسُّنَّة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر، وهذا أصل كبير خالف فيه كفرة الفلاسفة، وخالف فيه الدهرية، وخالف فيه سائر الملاحدة، أما أتباع الأنبياء فهم

يقرُّون به إجمالاً، فأمم الكفر الموجودة كالنصارىٰ واليهود الذين يتبعون رسلاً سابقين ضلوا وخرجوا عن منهاج الرسل وكفروا بالنبي -صلىٰ الله عليه وسلم- ولكنهم يقرون بالبعث إجمالاً علىٰ ضلالات عندهم كثيرة، وأعظم من جاء بتقرير البعث واليوم الآخر وبيان أدلته وبراهينه العقلية والتي جاء بها من وحي من الله هو محمد -صلىٰ الله عليه وسلم-، ففي شرعه ما يكفي ويغني عن النظر في سائر الكتب، ولا يمكن أن يعرف العباد شيئًا مما يكون في الآخرة إلا عن طريق ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وهذا يدخل فيه أول ما ينزل بالإنسان الموت، فالموت إذا نزل بالإنسان يرىٰ الملائكة، نحن لا نراها، قال تعالىٰ في وصف هذه الحال العجيبة: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ﴾ -أي الملائكة ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥]، يأتي ملك الموت بنفسه يقبض الروح والملائكة معه؛ إما ملائكة رحمة وإما ملائكة عذاب، هذا الحال يراها هذا المقبوض -سبحان الله العظيم-، هذا أول أمر يراه من أمور الآخرة، ثم بعد ذلك كلها غيب غيَّبها الله -عز وجل- عن أهل الدنيا حتىٰ يظهر المؤمن من الكافر؛ ولهذا أخص أوصاف المؤمنين: ﴿الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣]، أول وصف لهم في سورة "البقرة" ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ونحن لا نؤمن بكل غيبٍ وإنما نؤمن بالغيب الذي أخبرنا الله -عز وجل- أو أخبرنا رسوله عنه فقط.

أما ما يدَّعيه الكهنة والسحرة ويدعيه الكذابون والأفَّاكون فكلهم ضلال، أو الخرافيون أو المتصوفة أو أصحاب الرُّؤىٰ والمنامات، ما نصدق هذه الأمور ولا

نبني عليها ديننا، ولا نبني عليها اعتقاد، لو جاءنا واحد قال رأيت رؤيا أن فلان يقول لنا افعلوا كذا، اصنعوا كذا، ما نعمل بهذا ولا نعتمد علىٰ رؤيا ولا نعتمد علىٰ قصة ولا نعتمد علىٰ أي شيء من هذا القبيل، الغيب الذي قاله الله وقاله رسوله فقط، هو الحق.

هذه الأشياء التي ذكرها الشيخ أمثلة، البرزخ ما بين الوفاة إلىٰ البعث من القبر، أحوال القيامة وهي كثيرة، وذكر أمثلة: (الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالمِيزَانِ، وَالصُّحُفِ المَأْخُوذَةِ بِاليَمِينِ وَالشِّمَالِ، وَالصِّرَاطِ، وَأَحْوَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَحْوَالِ أَهْلِهَا، وَأَنْوَاعِ مَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، فَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ)، يعني نؤمن بذلك كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم-.

طيب، الأحاديث الضعيفة، لو ورد حديث ضعيف ما نعمل به، ما نعتقد مدلوله، ما نأخذ إلا بما صح عن رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- مما قرره العلماء العارفون بسنة النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- ذلك، وهم علماء الحديث، وما في البخاري ومسلم كله صحيح؛ لأن الأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول، وهذا يجعل أحاديثهما في درجة اليقين، وكذلك بقية الكتب إذا صحَّحها أهل العلم الراسخون في العلم بالحديث.

{(الأَصْلُ الرَّابِعُ: مَسْأَلَةُ الإِيمَانِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ تَصْدِيقُ القَلْبِ المُتَضَمِّن لِأَعْمَالِ الجَوَارِحِ فَيَقُولُونَ: الإِيمَانُ اعْتِقَادَاتُ القُلُوبِ وَأَعْمَالُهَا، وَأَعْمَالُ

الجَوَارِحِ، وَأَقْوَالُ اللِّسَانِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ مَنْ أَكْمَلَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَقَدْ أَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدِ انْتَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِ، وَهَذِهِ الأُمُورُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ فِي الإِيمَانِ دَرَجَاتٌ: مُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ، وَظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، بِحَسَبِ مَقَامَاتِهِمْ مِنَ الدِّينِ وَالإِيمَانِ، وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَمَنْ فَعَلَ مُحَرَّمًا، أَوْ تَرَكَ وَاجِبًا نَقَصَ إِيمَانُهُ الوَاجِبُ، مَا لَمْ يَتُبْ إِلَىٰ اللهِ)}.

هذا هو الأصل الرابع، يعني ذكر الشيخُ مسألةً عظيمة؛ يعني الأصول الثلاثة هي: الخالق سبحانه واستحقاق العبادة وتوحيده، وإثبات النبوة، إثبات البعث، البعث بعد الموت، اليوم الآخر.

الأصل الرابع هذا تابع، وهو ما معنىٰ الإيمان؟ ومَن أهله؟ وما درجاته؟ وما أحكام هذا الاسم في الدنيا وفي الآخرة؟ هذه المسألة عظيمة جدًّا، وهذه من مسائل الاعتقاد، ويذكرها العلماء في كتب العقيدة، فتجدها في كتب العقيدة مبسوطة وموضحة بالتفاصيل، لكن هنا نأخذها علىٰ وجه الإجمال والاختصار.

أولاً تعريف الإيمان من جهة الشرع: الإيمان هو قولٌ واعتقادٌ وعملٌ؛ الاعتقاد بالقلب، فأنت عندما تقول الله ربي ومحمد -صلىٰ الله عليه وسلم- نبيي وأنا أدين بدين الإسلام، هنا أشياء في قلبك تقوم، أنت إذا كنت مصدقًا -وأنت كذلك إن شاء الله- ونسأل الله -جل وعلا- أن يحقق إيماننا وإسلامنا ويثبتنا عليه، هذا إذا قام بالقلب، هذا الدرجة الأولىٰ.

الدرجة الثانية أو المسألة الثانية: القول به، تنطق، لابد أن تنطق، تقول لا إله إلا الله، لابد من النطق باللسان ما يكفي اعتقاد دون نطق، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، قيل لهم، مَن الذي يقول لهم؟ الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، فيه شيء محذوف هنا، ما هو؟ قولوا: لا إله إلا الله؛ لأنه معلوم من السياق، إنهم كانوا إذا قيل لهم، والرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- كان يقول للناس: «أَيُّها النَّاسُ قولوا لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفلِحوا»، لابد قولوا، لابد أن يقول، يقول، يا عم لما حضر عند الموت، أبو طالب حضَره الموتُ، آتاه يا عم قل، ما يصلح الله اعتقد فقط، يكفي الاعتقاد، لا، «يا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ»، انظر فضل الله عليك وعليَّ وعلىٰ من أسلم -اللهم ثبتنا علىٰ الإسلام-، هذا عم النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- انظروا يا إخوة أقرب الناس إليه ومع ذلك لم يقل هذه الكلمة، وأنت الآن تقولها، قلها لا إله إلا الله منشرح بها صدرك، هذه نعمة عظيمة، هو الآن في نار جهنم أخبر عنه الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وأنت الله يمنُّ عليك بهذه الكلمة، أعرف قدر النعمة.

النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- له عمان كفرا به وعمان أسلما وآمنا به، أبو طالب اسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزىٰ، أسماؤهم شركية أيضًا، واللذان آمنا به العباس وحمزة -رضي الله عنهما-، أسماؤهم إسلامية ما فيها، هذا عبد مناف وهذا عبد العزىٰ كفرا بالرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وأبو طالب يعتقد أن الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- علىٰ حقٍّ ويقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

لَــوْلا الْمَلامَــةُ أوْ حِــذَارُ مَسَبَّــةٍ لَوَجَدْتَنِــي سَمْحًــا بِــذَاكَ مُبِينَــا

لا إله إلا الله، منعه الملامة وليلومني الناس ولينتقصونني وليسبونني بأن أترك دين آبائي وأجدادي، حجة لَعينة، حجةٌ خَبيثة، أعوذ بالله من هذه الحال، نسأل الله أن يثبتنا علىٰ الإسلام والسُّنَّة، الحمد الذي هدانا، والله إنها نعمة عظيمة، المقصود: أنه لا بدَّ من القول.

باقٍ أمر ثالث، ما هو؟ لا بدَّ من العمل، يعني إذا صار عندك اعتقاد وصار عندك قول ما يصلح تقول والله أنا أعتقد وأقول وخلاص، مع السلامة فقط، لا أصلي ولا أصوم ولا، لا ما هو بإسلام هذا، ولا هو بإيمان، الإيمان لا بدَّ فيه من عمل، قول واعتقادٌ وعمل.

قال الشيخ: (فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ الإِيمَانُ هُوَ تَصْدِيقُ القَلْبِ المُتَضَمِّن لِأَعْمَالِ الجَوَارِحِ فَيَقُولُونَ: الإِيمَانُ اعْتِقَادَاتُ القُلُوبِ وَأَعْمَالُهَا، وَأَعْمَالُ الجَوَارِحِ، وَأَقْوَالُ اللِّسَانِ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا مِنَ الإِيمَانِ)، طيب، ما الفرق بين اعتقادات القلوب وأعمال القلوب؟

الاعتقاد: هو التصور، يعني مثلاً تعتقد أن الله -عز وجل- لا شريك له، وتعتقد أن الله الخالق، وأنه المستحق للعبادة، هذا اعتقاد. العمل ما هو؟ أنك تحبه، أنك تخافه وترجوه، هذا عمل، أنك تُحسن الظن به، هذا عمل، أنك تحس بالافتقار إليه، هذا عمل قلبي، كلها أعمال قلبية ما أحد يراها من الناس، داخل قلبك، فأعمال القلوب من الإيمان مثل اعتقادات القلوب.

قال: (وَأَنَّ مَنْ أَكْمَلَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا)، ظاهرًا بماذا؟ بالصلاة، بالزكاة، بالصوم، بالحج، بر الوالدين، الصدق في الحديث. باطنًا ماذا؟ الصدق مع الله، الإخلاص، اليقين المنافي للشك، والصدق المنافي للكذب، بالقبول المنافي للردِّ، وهكذا.

إذًا الشريعة والدين ليس فقط الأمور الباطنة ونهمل الأمور الظاهرة، وليس الأمور الظاهرة ونهمل الأمور الباطنة، وهنا طائفتان ضلتا عن سواء السبيل: طائفة قالت أهم شيء الأمور القلبية والأمور الباطنة وأهم شيء القلب، وأما الظاهر فما عندك مشكلة حتىٰ لو كان تاركًا للصلاة، وكان تاركًا للزكاة، حتىٰ لو كان قتل نفسًا، لا، هذا منهج باطل، بل بعضهم بلغ به الغلو من المتصوفة هؤلاء يقولون: افعل في الظاهر ما يلومك الناس عليه، هذا أقرب للإخلاص، يسمون أنفسهم أو يسمونهم "الملامَتِيَّة"، يعني افعل ما يلومُك الناس عليه، فيبدأ إذا جاء وقت الصلاة يترك المسجد ويذهب للبيت، دع الناس يلومونني؛ لأن أنا أعرف نفسي، أنا بيني وبين الله صدق ويقين وأنا أصلي في البيت، فقط دع الناس يلومونني هذا أدعىٰ للإخلاص، وهكذا بعضهم وصل به الحال إلىٰ أفعال يُستحيىٰ من ذكرها من قلة الأدب وسوء الأدب، فيسمون أنفسهم "الملامَتِيَّة"، يعني يعتنون بالباطن ويهملون الظاهر، هذا كله ضلال عن منهج الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-.

العكس يعتني بالظاهر ويُقيم الأمور في الظاهر وفي الباطن خرابٌ ونفاقٌ ورياءٌ، هذا أيضًا ضلالٌ عن سواء السبيل.

قال: (وَأَنَّ مَنْ أَكْمَلَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَقَدْ أَكْمَلَ الإِيـمَانَ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدِ انْتَقَصَ مِنْ إِيـمَانِهِ، وَهَذِهِ الأُمُورُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيـمَانِ).

وقول الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- هذا في الصحيحين يدلنا علىٰ مشروعية أن نتفطن ما هي الشُّعب الأخرىٰ، شُعب الإيمان الأخرىٰ ما هي؟ الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- لم يعدِّد لنا يقول الشعبة الأولىٰ كذا، الشعبة الثانية كذا، الشعبة الثالثة، إنما قال: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»، وفي رواية «بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعبةً».

إذًا هذا حثٌّ من الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- علىٰ أننا نتفطن ما هي الشعب، ولهذا اجتهد العلماء -رحمة الله عليهم- في تتبع هذه الشعب من نصوص الكتاب والسُّنَّة، ومن العلماء من ألف في ذلك كالبيهقي -رحمه الله- ألف كتابًا كبيرًا اسمه "شُعب الإيمان" مطبوع، وابن حجر العسقلاني -رحمه الله- في "فتح الباري" جمع هذه الشُّعب وأوصلها، وذكر العلماء الذين سبقوه -رحمة الله علىٰ الجميع-، فذكروا الصلاة، إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، الأركان الخمسة، ثم ذكروا أيضًا أركان الإيمان، ثم ذكروا الإحسان، ثم ذكروا برَّ الوالدين، وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكروا أشياء أخرىٰ تُراجعها في هذه المواضع.

قال: (وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ فِي الإِيـمَانِ دَرَجَاتٌ)، تقدم أخونا أجاب: درجات الموحدين: ظالمٌ لنفسه، ومُقتصد، وسابقٌ للخيرات بإذًا الله.

قال: (دَرَجَاتٌ مُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ، وَظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ)، المقربون سمُّوا بهذا الاسم في سورة "الواقعة" وفي سورة "المطففين"، وسمُّوا عباد الله في سورة "الإنسان".

الدرجة الثانية: الذين هم أصحاب اليمين، سمُّوا في سورة "فاطر" المقتصدين، المقتصد، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢]، وسمُّوا في سورة "الواقعة" بأصحاب اليمين، وسمُّوا في سورة "المطففين" بالسابقين الأوائل، وسمِّي المقتصدون بالمقربين في سورة "المطففين"، فباقي القسم الثالث هذا لم يُذكر إلا في سورة "فاطر"، مَن هم الظالمون لأنفسهم؟

وهذه درجات الموحدين ذُكرت في سورة "فاطر" كلها الثلاثة:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، وهو الذي ترك واجبًا أو فعل محرمًا، وهذا الدليل علىٰ الرد علىٰ الخوارج كما سيأتي بعد قليل.

والمقتصد الذي فعل واجبات وترك المحرمات ولم يجتهد في الطاعات.

والسابق بالخيرات هو الذي فعل الواجبات وترك المحرمات واستكثر من النوافل وابتعد عن المكروهات.

قال: (بِحَسَبِ مَقَامَاتِهِمْ مِنَ الدِّينِ وَالإِيمَانِ)، هذه مسألة جديدة (وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ) هذه مسألة مهمة جدًّا، إن الإيمان نفسه يزيد وينقص وليست آثاره التي تزيد وتنقص أو متعلقاته التي تزيد وتنقص، نعم تزيد وتنقص لا شك لكن نفس الإيمان هو بنفسه يزيد وينقص؛ ولهذا ليس إيماننا مثل إيمان أبي بكر -رضي الله عنه- ولا

مثل إيمان عمر، فلو نظرت إلىٰ الصحابة؛ إيمانهم وتصديقهم، حتىٰ في التصديق، أصل التصديق يتفاوت، لو قال واحد الشمس. كيف نختلف؟ كلنا نرىٰ الشمس، نصدِّق أن الشمس فوقنا أو ظاهرة، هذا ما يختلف الناس في التصديق به، كيف تقول أنت الإيمان، نقول: لا، بل يتفاوتون الناس في التصديق، والإيمان أعمق، ولا يصح تشبيه الإيمان بالشمس أو الأشياء البديهية، لماذا؟ لأن الإيمان هو شُعب وأنواع ومعانٍ عظيمة، فالإحاطة بها ليس مثل الإحاطة بشيء واحد، هذا الدرجة الأولىٰ.

الدرجة الثانية: أنه حتىٰ الشمس رؤية الناس للشمس تتفاوت، منهم من يستطيع رؤيتها وتحمل ذلك ومنهم من لا يستطيع ومنهم من هو ضعيف البصر ومنهم من هو قوي البصر، فلا يصح قياس الأمور الشرعية علىٰ الأمور الدنيوية، فالتصديق يتفاوت، التصديق نفسه الأصلي يتفاوت بين الناس، فكيف بالأمور الدينية الشرعية وقد جاء الشرع بأن أهل الإيمان يتفاوتون؟! ويزداد بعضهم إيمانًا، ويزدادون إيمانًا، إذا تليت الآيات ازدادوا إيمانًا، وازدادوا تصديقًا.

{(وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مِنْهُمْ مَنْ قَامَ بِحُقُوقِ الإِيمَانِ كُلِّهَا فَهُوَ المُؤْمِنُ حَقًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهَا كُلَّهَا فَهَذَا كَافِرٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِيهِ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ، أَوْ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، أَوْ خَيْرٌ وَشَرٌّ، فَفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِهِ بِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الإِيمَانِ، وَفِيهِ مِنْ عَدَاوَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِعُقُوبَةِ اللهِ بِحَسَبِ مَا ضَيَّعَهُ مِنَ الإِيمَانِ.

وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ العَظِيمِ أَنَّ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ، وَصَغَائِرَهَا الَّتِي لَا تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَىٰ الكُفْرِ تُنْقِصُ إِيمَانَ العَبْدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ دَائِرَةِ الإِسْلَامِ، وَلَا

يَخْلُدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الكُفْرَ كَمَا تَقُولُه الخَوَارِجُ، أَوْ يَنْفُونَ عَنْهُ الإِيمَانَ كَمَا تَقُولُهُ المُعْتَزِلَةُ، بَلْ يَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَمَعَهُ مُطْلَقُ الإِيمَانِ، وَأَمَّا الإِيمَانُ المُطْلَقُ فَيُنْفَىٰ عَنْهُ.

وَبِهَذِهِ الأُصُولِ يَحْصُلُ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا، وَأَنَّ مَنِ ارْتَدَّ وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ)}.

يقول: (وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ)، وأنهم ثلاثة: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، هؤلاء أكمل الناس إيمان قاموا بحقوق الإيمان كلها.

والنوع الثاني قال: (وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهَا كُلَّهَا)، ترك حقوق الإيمان وواجباته، تركها كلها بما ذلك في التوحيد والصلاة، فيكون كافرًا بالله العظيم، هؤلاء هم الكفار كاليهود والنصارىٰ والملاحدة.

قال: (وَمِنْهُمْ مَنْ فِيهِ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ، أَوْ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، أَوْ خَيْرٌ وَشَرٌّ)، هل الكفر هذا مخرج من الملة؟ إذا كان الكفر مخرجًا من الملة فما ينفعه ما معه من إيمان، ما هو الكفر المخرج من الملة؟ نواقض الإسلام، سماها العلماء نواقض الإسلام أو أمور الردة، مثل الاستهزاء بالله -عز وجل- أو التكذيب لله ولرسوله -صلىٰ الله عليه

وسلم-، أو الشرك بالله -عز وجل-، أو تصحيح الأديان الباطلة كتصحيح دين اليهود والنصارىٰ واعتقاد أنهم علىٰ حق وأنه يجوز ترك الإسلام واتباع هذه الأديان، أو السحر، هذه تسمىٰ أمورًا مخرجة من الملة أو ترك الصلاة علىٰ الراجح من أقوال أهل العلم، الذي ترك الصلاة تركًا مطلقًا تامًّا، فإن هذا يزيل الإيمان، أما إذا كان الكفر الموجود كفرًا دون كفر وهو الكفر الأصغر، مثال الكفر الأصغر: مثل سِباب المسلم فسوقٌ وقِتاله كفر، قتال المسلم لأخيه المسلم كفر، هذا كفر أصغر، والدليل علىٰ أنه أصغر: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، مع وجود الاقتتال.

وقال الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-: «سِباب المُسْلِمِ فُسوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ»، فالقتال كفر، هنا الله -عز وجل- وصفهم بالإيمان، إذًا هذا كفر أصغر، وهكذا ما جاء في النصوص تسميته كفرًا ولم يبلغ رُتبة الكفر الأكبر، فإنه يسمىٰ كفرًا لكن كفر أصغر، هذه طريقة أهل العلم في الجمع بين النصوص خلافًا للخوارج وخلافًا للمرجئة.

هذا ما الحكم فيه؟ ما الحكم في هذا الرجل الذي اجتمع فيه إيمان وكفر أصغر أو نفاق وإيمان أو خير وشر؟ يوالَىٰ بقدر إيمانه، ويُبغض بقدر ما معه من معصية أو بدعة أو نفاق، فيستحق اسم الإسلام ولكنه ناقص الإيمان، ويستحق العقوبة أو العداوة أو الهجر بقدر ما معه من معصية أو ذنب أو بدعة أو نفاق، والدليل علىٰ ذلك

أو الأدلة علىٰ ذلك كثيرة لكن نأخذ منها دليلاً المقام الآن اختصارًا وهو: أن صحابيًّا أُتي به إلىٰ النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- يقيم عليه الحد؛ لأنه شرب الخمر، فتكرر ذلك منه، "فقال رَجُلٌ: لعَنَه اللهُ، ما أكْثَرَ ما يُؤْتَىٰ بهِ؟!"، شَرب الخمر ويقام عليه الحدُّ، فقال النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-: «لا تلعنْه فإنه يحبُّ اللهَ ورسولَه»، من الذي شهد له بذلك؟ الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، مع أن هذا الصحابي شرب الخمر، فشهد له النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- بأنه يحب الله ورسوله مع وجود هذه المعصية، بل الكبيرة، فدلَّ علىٰ أنه يجتمع الإيمان وارتكاب الكبيرة، لكن الإيمان هنا يكون كاملًا أم ناقصًا؟ ناقصًا، هذا الإيمان ناقص.

قال الشيخ: (فَفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِكَرَامَتِهِ بِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الإِيمَانِ، وَفِيهِ مِنْ عَدَاوَةِ اللهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِعُقُوبَةِ اللهِ بِحَسَبِ مَا ضَيَّعَهُ مِنَ الإِيمَانِ، وَيُرَتِّبُونَ عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ العَظِيمِ أَنَّ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ، وَصَغَائِرَهَا الَّتِي لَا تَصِلُ بِصَاحِبِهَا إِلَىٰ الكُفْرِ تُنْقِصُ إِيمَانَ العَبْدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ دَائِرَةِ الإِسْلَامِ، وَلَا يَخْلُدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)، ففي الدنيا ما نقول عنه كافر لارتكابه هذه الذنوب، وفي الآخرة ما نقول عنه مخلد في النار.

قال: (وَلَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ الكُفْرَ كَمَا تَقُولُ الخَوَارِجُ، أَوْ يَنْفُونَ عَنْهُ الإِيمَانَ كَمَا تَقُولُهُ المُعْتَزِلَةُ، بَلْ يَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَمَعَهُ مُطْلَقُ الإِيمَانِ، وَأَمَّا الإِيمَانُ المُطْلَقُ فَيُنْفَىٰ عَنْهُ)، يعني في الدنيا نسميه مسلمًا؛ ولهذا الشخص الذي يرتكب الجنايات مثل القتل أو السرقة أو قطع الطريق أو شُرب الخمر أو الزنا -نعوذ بالله من ذلك-، هذه الأمور إذا فعلها واحد من الناس من المسلمين ما نقول عنه إنه

ليس بمسلم، هو مسلم لازال علىٰ الإسلام لكن ناقص الإيمان، فيُعامل بحسب هذه الأمور ويقام عليه الحد من قِبل ولي الأمر، ما نقول عنه كافر كما تقوله الخوارج، ولا نقول إنه ليس بمسلم ولا كافر كما تقوله المعتزلة، في منزلة بين المنزلتين وهذه بدعة من بِدع المعتزلة التي خالفوا فيها المسلمين، ونفوا عنه الإيمان والإسلام ولم يثبتوا له الكفر، فجعلوه برزخًا، لكن المعتزلة متفقون مع الخوارج أنه في الآخرة هو خالد مخلد في النار، كل هذا ضلال عظيم؛ فأهل السُّنَّة يقولون إذا ارتكب الكبيرة هو مسلم لكن ناقص الإيمان، ضعيف الدين، ضعيف الإيمان، فمعه مطلق الإيمان، ما معنىٰ مطلق الإيمان؟ يعني أصل الإيمان، أما الإيمان المطلق فليس معه، ما معنىٰ الإيمان المطلق؟ الإيمان الكامل، مطلق الإيمان يعني أساس الإيمان موجود معه، ما كفر بهذه الذنوب، أما الإيمان المطلق الإيمان الكامل ليس معه؛ لأنه بارتكابه لهذه الذنوب يدل علىٰ نقص إيمانه.

(وَبِهَذِهِ الأُصُولِ يَحْصُلُ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) يعني هذا هو الجمع بين النصوص خلافًا للمرجئة وخلافًا للخوارج والحرورية بشكل عام من المعتزلة وأمثالهم، وماذا يترتب عليها؟

قال: (أَنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ)، إذا أسلم فإن الله -عز وجل- يكفِّر عنه ما ارتكب حال كفره، (وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ)، وهذا لا يُخالِف فيه حتىٰ الخوارج، حتىٰ الخوارج ما يخالفون في هذا، فهم يقولون: من تاب، تابَ الله عليه، (وَأَنَّ مَنِ ارْتَدَّ وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) وهذا بالإجماع، من ارتدَّ عن الإسلام فقد حبِط عمله، ومن تاب قبل أن يموت، تاب الله عليه؛ ولهذا

لا تستهزئ بأصحاب الذنوب وتسخر منهم، بل سلِ الله العافية، فقد تُبتلىٰ أنت، وقد يعافيهم الله فيتوبون، قد يتوبون وأنت الذي تُبتلىٰ، لكن اسأل ربك العافية واسأل ربك السلامة من هذه الذنوب والمعاصي، وليس معنىٰ هذا أننا نزكِّيهم، لا، هم علىٰ نقص عظيم وعلىٰ خطر كبير، الذنوب بريدُ الكفر كما قال السلف.

قد تستدرج بهم الذنوب إلىٰ ما هو أعظم، هم علىٰ خطأ لكن لا تستهزئ بهم أو تحتقرهم، واحذر من هذه الكلمة، والله لن يغفر الله لكم، والله لن يتوب الله عليكم، والله لن تهتدوا، هذه الكلمات أوجبتْ لعابد عبد الله طول حياته أن يدخل النار، كما في الحديث الصحيح، رجل قال: "واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ، ولا يُدخِلُكَ الجَنَّةَ"، فقال الله -عز وجل-: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ قَدْ غَفَرْتُ له وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»، فاحذروا من هذا أيها الإخوة.

{(وَيُرَتِّبُونَ أَيْضًا عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ صِحَّةَ الاسْتِثْنَاءِ فِي الإِيمَانِ فَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ أَنَا مُؤْمِنٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ- لِأَنَّهُ يَرْجُو مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ تَكْمِيلَ إِيمَانِهِ فَيَسْتَثْنِي لِذَلِكَ، وَيَرْجُو الثَّبَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ المَمَاتِ فَيَسْتَثْنِي مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ بِحُصُولِ أَصْلِ الإِيمَانِ)}.

هذا معنىٰ الاستثناء في الإيمان أنا مؤمن -إن شاء الله-، مسألة مشهورة، هي مبنية علىٰ المراد بالإيمان، حينما تقول: أنا مؤمن -إن شاء الله-، هل يجب أن تقول أنا مؤمن وتسكت أم يجب أن تقول -إن شاء الله-؟ هذا الاستثناء في الجمل، هذا معنىٰ الاستثناء يعني ذكر كلمة -إن شاء الله- أو أرجو، إذا قلت أرجو أني مؤمن، أرجو، ما حكم هذا؟

هذا الجواب عنه باختصار أنك إذا أردت كمال الإيمان، فيجب ألا تزُكي نفسك، إذا قلت أنا مؤمن تريد كمال الإيمان ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، استوجبوا يعني أو استكملوا صفات أهل الجنة، استكملوا صفات أهل الجنة؟! ما تجزم بهذا لنفسك، تزكي نفسك أنت، تقول أرجو، اللهم اجعلنا منهم، نرجو أن نكون منهم، -إن شاء الله- يلحقنا الله بهم، أما أنك تجزم هذا، لا، خطأ، أما إذا أردت أصل الإيمان، أساس الإيمان الذي هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، أنت تؤمن بذلك؟ نعم ما تستثني؛ لأنك تريد اليقين بذلك والجزم، ما عندك شكٌّ في هذه الأصول الستة، ما تشك فيها ولا تتردد، أنا أؤمن بالله أؤمن بملائكته، ما أشكُّ في الله ولا أشك في ملائكته، ولا أتردد في ذلك، فما أنت تقول -إن شاء الله- أو يمكن أو أرجو، لا تجزم بذلك؛ فإذا أريد بذكر كماله فتستثني، وإذا أريد أصله فتجزم.

{(وَيُرَتِّبُونَ أَيْضًا عَلَىٰ هَذَا الأَصْلِ أَنَّ الحُبَّ وَالبُغْضَ أَصْلُهُ وَمِقْدَارُهُ تَابِعٌ لِلإِيمَانِ وُجُودًا وَعَدَمًا، وَتَكْمِيلاً وَنَقْصًا، ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ الوَلَايَةُ وَالعَدَاوَةُ؛ وَلِهَذَا مِنَ الإِيمَانِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ للهِ، وَالوَلَايَةُ للهِ وَالعَدَاوَةُ للهِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الإِيمَانِ ولا يَتمُّ إلاَّ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)}.

هذا كلام عظيم جدًّا هو تابع لمسألة الإيمان، وهو أن مما يتعلق بالإيمان الحب في الله والبُغض في الله والولاء والبراء، والولاية والعداوة، لا يوجد في الدنيا التجرُّد والحِيادية، هذا كذب، هذه مثالية نظرية يفرضُها الذهن لكن الواقع ينفيها، فتجد بعض الناس يحارب المسلمين ويقول أنتم عندكم مسألة الولاء والبراء، وأنتم،

وأنتم ماذا عندكم؟ وأنت أيضًا نفس الشيء توالي أناسًا وتبغض أناسًا، تعاديهم، فلا يوجد أمة من الأمم أو طائفة من الطوائف أو أي شخص في الدنيا إلا وهو يحب ويُبغض، لا يمكن يقول أنا أحب دون أن أبغض؛ ولذلك بعضهم يحاول يروِّج لهذا يقول: سوف ننبذ الكراهية من العالم كله، ما يمكن هذا، لا يمكن هذا، هذا كما يقال الذِّهن يتخيلها فقط لكن ما يوجد في الدنيا في المخلوقين بني آدم وفي حتىٰ الجن ما يُوجد إلا ذوات تحب وتبغض، ما يمكن أن يكون تحب دون أن تبغض أو تبغض دون أن تحب، ما يوجد هذا.

هنا الإسلام رتب هذه المسألة، عظَّمها وبين أهميتها ورتبها، فجعل المعيار والميزان للحب والبغض هو الإيمان والإسلام؛ ولهذا ربطنا برابطة عظيمة هي رابطة الإسلام، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، هذا هو المعوَّل عليه، «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ».

إذًا الحب في الله والبغض في الله والولاء والبَراء والوِلاية والعداوة هي مبنية علىٰ أصلهما، علىٰ الإسلام، فمن كان مسلمًا مؤمنًا فأنا أحبه؛ لأن الله -عز وجل- يحبه، فكل من يحبهم الله أنا أحبهم، وكل من يبغضهم الله أنا أبغضهم، هذا هو المعول عليه، وتجد نصوص الكتاب والسُّنَّة كلها تدل علىٰ هذا المعنىٰ.

قال: (وُجُودًا وَعَدَمًا، وَتَكْمِيلاً وَنَقْصًا)، يعني الحب للمؤمن موجود، أنت في قلبك تحب المؤمن، الشيطان وإبليس لعنه الله تبغضه، لا تجد في قلبك حبًّا له، وهكذا أولياؤه وأعوانه وشياطين الإنس وشياطين الجن تبغضهم، هذا عدم، معدوم

حبهم من قلبك؛ لأنك مؤمن بالله وبرسله، آمنت بالله، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، الحمد لله، كل المسلمين علىٰ هذا -اللهم ثبتنا علىٰ الإسلام والسُّنَّة-، آمنا بالله وكفرنا بالجِبت والطَّاغوت، فالجبت والطاغوت وأعوانهم وأولياؤهم نبغضهم ونبرأ إلىٰ الله منهم، والمؤمنون المسلمون من أعظمهم أنبياء الله ورسله، ثم أتباع الأنبياء الصالحون الذين تمسكوا بما عليه رسلهم في السابقين، ثم أتباع نبينا محمد -صلىٰ الله عليه وسلم-، وكل من اتَّبع الرسول النبي الأمي -صلىٰ الله عليه وسلم- من أهل الأرض وآمن به، هذا حبيبُنا نحبه ونواليه لإسلامه وإيمانه بالرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، ومن عادَىٰ الرسول أو خالف الرسول أو لم يؤمن بالرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- نُبغضه ونعاديه، لكن التصرفات والأفعال مضبوطة ضبطتها الشريعة، ما نعتدي.

الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- الذي جاء بهذا الدين استأجر كافرًا يدلُّه الطريق وهو عبد الله بن أُريقط، استأجر، يدل علىٰ الإيجار والاستئجار، مات -صلىٰ الله عليه وسلم- ودِرعه مرهونة عند يهودي علىٰ أصواعٍ من شعير اشتراها من يهودي، والبيع والشراء قائم. هذه الأمور ما نعتدي، ما نقطع العقود، ما ننقضها، ما نعتدي علىٰ الناس غير المسلمين، هذا ما يجوز مع وجود أصل الولاء والبراء.

ثم ختم بقوله: (وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الإِيمَانِ ولا يتم إلا بأَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) كما في الحديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، ولْنجاهد أنفسنا علىٰ تطبيق هذا الحديث، ولْننظر ستجد أنه أحيانًا يفوتك شيء من

هذا الأمر في بعض إخوانك أو بعض جيرانك أو بعض أصدقائك أو بعض جلسائك أو بعض معارفك أو بعض أقاربك، وطِّن نفسك علىٰ أن تحب لهم الخير، ومن أعظم ما يُعينك علىٰ ذلك سلامة الصدر، ومن أعظم ما يعينك علىٰ ذلك إفشاء السلامة، ومن أعظم ما يعينك علىٰ ذلك بذل الإحسان، ومن أعظم ما يعينك علىٰ ذلك الدعاء لهم في ظهر الغيب؛ فكل هذه الأمور تصفي القلب وتُخرج منه الغل والحقد وتحب للمسلمين ما تحب لنفسك.

{(وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا مَحَبَّةُ اجْتِمَاعِ المُؤْمِنِينَ، وَالحَثُّ عَلَىٰ التَّآلُفِ وَالتَّحَابُبِ وَعَدَمِ التَّقَاطُعِ.

وَيَبْرَأُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ التَّعَصُّبَاتِ وَالتَّفَرُّقِ وَالتَّبَاغُضِ، وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ القَاعِدَةَ مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ الإِيمَانِ، وَلَا يَرَوْنَ الاخْتِلَافَ فِي المَسَائِلِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَىٰ كُفْرٍ، أَوْ بِدْعَةٍ مُوجِبَةٍ لِلتَّفَرُّقِ)}.

هذه مسألة مهمة، من آثار الحب في الله ومن آثار الإيمان أننا نحثُّ ونُحب اجتماع كلمة المسلمين، واجتماع كلمة المؤمنين، ونحب هذا الشيء ونحرص عليه ونسعىٰ فيه ولا نسعىٰ في ضده من التقاطع والتعادي والتباغض، وهذا الأمر أمر مهم -أيها الإخوة- لو تفطن له طالب العلم، صار مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر بإذن الله، والله العظيم هذا أصل كبير إذا اهتممتم به صار علىٰ أيديكم من الخير ما الله به عليم.

ومن توابع هذا قال: (وَيَبْرَأُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ التَّعَصُّبَاتِ وَالتَّفَرُّقِ وَالتَّبَاغُضِ)، يعني إنشاء جماعات، حِزبيات، هذا مع الشيخ فلان يبغض الشيخ

الفلاني ويعادي الطلاب وهذا يعادي هؤلاء، علىٰ ماذا؟ علىٰ قيل وقال، نقدني ونقدته، تكلم عليَّ وتكلمت عليه، أو تكلم بعض الطلاب، فهناك أناس يسعون في النميمة، يأتي عند الشيخ ويقول أنت تقول كذا، يذهب للشيخ الفلاني ما تقول فيه كذا؟ الشيخ يقول كذا والشيخ يقول كذا، (يولِّعها بينهم)، شيطان إنسي، ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١]، هذا ليس من أخلاق المؤمنين فضلاً عن طلبة العلم الصالحين.

أيضًا إنشاء الجماعات واتِّباع الجماعات لا داعي لها، لسنا بحاجة إلىٰ الجماعة، أنت في بلد مسلم تحت القيادة تسمع وتطيع لولاة الأمور، ما تحتاج أنك تُنشئ جماعة، جماعة كذا وجماعة كذا، ما لها حاجة، اعمل بكتاب الله وسنة رسوله، تعلَّم العلم وادْع إلىٰ الله، علِّم الناس الخير واجتهد علىٰ نفسك وعلىٰ أهل بيتك وعلىٰ جيرانك وعلىٰ طلابك، ما حاجة أن تنشئ جماعة، هذا من الغلط العظيم.

كذلك يقول: (وَلَا يَرَوْنَ الاخْتِلَافَ فِي المَسَائِلِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَىٰ كُفْرٍ)، يا جماعة، الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- قال للصحابة بعد صلاة الظهر، آمرًا لهم أن ينطلقوا إلىٰ بني قريظة، «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنكُمْ العَصْرَ إِلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ»، مشوار طويل يأخذ له (أربع ساعات مشي) أو خمس، فمشىٰ الصحابة استجابة للرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، جاء وقت العصر وهم في الطريق، الأمر جاءهم بعد الظهر ليس وهم مسافرون، في المدينة صلوا الظهر في وقتهم قبل أن يجيئهم، جاء الأمر بجبريل إلىٰ النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- قال: إنا لم نضع السلاح بعدُ، انطلقْ إلىٰ بني قريظة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنكُمْ العَصْرَ إِلَّا في بَنِي

قُرَيْظَةَ»، الصحابة وقفوا وصلوا، العصر وقته، والرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- أراد منه المعنىٰ الحثِّي.. وقتُها حلَّ، آخرون قالوا لا، نصلي العصر إذا وصلنا، فصلوه في الليل، فلما بلغ ذلك النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- لم يعنِّف الفريقين -عليه الصلاة والسلام-.

إذًا لا يرون الاختلاف في هذه المسائل التي لا تُوجب بدعة ولا كفرًا، فهذه من الأمور التي يقررها أهل العلم ويَعذر بعضهم بعضًا في مسائل الاجتهاد، ويعتذرون لأهل العلم إذا فاتهم شيء لكنهم يتبعون الدليل، ويأمرون باتباع الدليل.

{(وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الإِيمَانِ مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَأَنَّ لَهُمْ مِنَ الفَضْلِ وَالسَّوَابِقِ وَالمَنَاقِبِ مَا فُضِّلُوا بِهِ عَنْ سَائِرِ الأُمَّةِ.

وَيَدِينُونَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَنَشْرِ فَضَائِلِهِمْ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ الأُمَّةِ بِكُلِّ خَصْلَةٍ حَمِيدَةٍ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ كُلِّ شَرٍّ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِمَامٍ يُقِيمُ لَهَا دِينَهَا وَدُنْيَاهَا، وَيَدْفَعُ عَنْهَا عَادِيَةَ المُعْتَدِينَ، وَلَا تَتِمُّ إِمَامَتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ الإِيمَانُ إِلَّا بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ بِاليَدِ، وَإِلَّا بِاللِّسَانِ، وَإِلَّا فَبِالقَلْبِ، عَلَىٰ حَسَبِ مَرَاتِبِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَطُرُقِهِ المَرْعِيَّةِ، وَبِالجُمْلَةِ فَيَرَوْنَ القِيَامَ بِكُلِّ الأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَىٰ الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ، وَمِنْ تَمَامِ هَذَا الأَصْلِ طَرِيقُهُم في العِلمِ والعَملِ)}.

الأصول الثلاثة ذكرها هنا: الصحابة، والإمامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول: (يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الإِيمَانِ مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ)؛ فأهل السُّنَّة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- جميعهم، لكن بعضهم أفضل من بعض، وهم مراتب؛ فأفضلهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وبقية العشرة، والسابقون الأولون المهاجرون قدَّمهم الله علىٰ الأنصار، عُلم فضل السابقين بتقديم الله لهم، وكذلك ممن لهم مرتبة عظيمة أهل بدر كما جاءت الأحاديث بذلك وأهل أُحد، الصحابة، كذلك أهل بيعة الرضوان كانوا ألفًا وأربعمائة، ومن أسلم قبل الفتح، ثم من أسلم بعد الفتح، فلهم من الفضل والسوابق والمناقب ما يكونون به أفضل من جميع من أتىٰ بعدهم، ويكفيهم شرف معيتهم للرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- المذكورة في هذه الآية في سورة "الفتح": ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]، هذه المعيَّة معه -ركِّز-، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الصحابي: كل من لَقي النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- مؤمنًا به ومات علىٰ الإسلام، هذه المعية واللُّقيا لو قليلة شرف عظيم ما أحد يحصِّله من التابعين ولا من أتباع التابعين فضلاً عمن جاء بعدهم - فرضي الله عن الصحابة أجمعين-.

أيضًا من الأشياء التي نعتقدها ونِدين بها بعد محبتهم، أننا ننشر فضائلهم، ونُثني عليهم في المجالس ونقول رضي الله عنهم، إذا ذكرنا الصحابي نقول رضي الله عنه، ونُبين مكانتهم عند الناس إذا ذكرناهم.

قال: (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)، لا يجوز أن نجلس في المجالس ونقول حدث كذا، وفلان الصحابي حصل بينه مع الصحابي الفلاني كذا، لا، هذا نُمسك عنه، لا بالأقلام ولا نكتب في الصحف ولا في الكتب ولا في وسائل التواصل أبدًا، ما نكتب شيئًا إلا بالثناء عليهم ونشر فضائلهم، خلافًا لما يفعله أهل الأهواء والبِدع.

قال بعد ذلك الإمامة، وسائر ولي الأمر؛ لأن هذا من العقيدة يذكرونها في العقيدة لأهميتها، قال: (وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْ إِمَامٍ يُقِيمُ لَهَا دِينَهَا وَدُنْيَاهَا، وَيَدْفَعُ عَنْهَا عَادِيَةَ المُعْتَدِينَ، وَلَا تَتِمُّ إِمَامَتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ).

يقول عبد الله بن المبارك -رحمه الله-:

لَوْلاَ الأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لأَقْوَانَا

فالأئمة والسلاطين هؤلاء تُجمع بهم الكلمة.

لا يصلُح الناسُ فوضَىٰ لا سُراةَ لهم ولا سراةَ إذا جُهَّالُهُم سادوا

فالناس إذا اجتمعوا علىٰ السلطان هذه نعمة؛ لأنهم بدون هذه النعمة ماذا يحدث؟ يذهب الدين وتذهب الدنيا؛ ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]، والرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- قال: «أُوصيكم بتقوىٰ اللهِ والسمعِ والطاعةِ وإن تأمَّر عليكم عبدٌ»، دليل علىٰ ماذا؟ أنه يتغلب علىٰ الناس أناس ناقصون في

صفاتهم، فالنبي -صلىٰ الله عليه وسلم- أوصانا وأمرنا بالسمع والطاعة حتىٰ ولو كانوا ناقصين، بل صرح الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- أنه «يَكونُ عَليكُم أُمراءُ فتعرِفُون وتُنكِرون»؛ يعني يقع منهم شيء تعرفونه من الأشياء الطيبة، ويقع منهم أشياء تنكرونها من المنكرات، فأمر بالصبر عليهم وألا ننازعهم بصريح الكلام، صرح بذلك، وجاء عنه -عليه الصلاة والسلام- التصريح الواضح أنه يقع الظلم منهم، أنهم يقع منهم الأثرة، الأَثَرَة: هي الظلم، الاستئثار بالدنيا وحرمان الناس من هذه الدنيا، فقال للأنصار: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّىٰ تَلْقَوْنِي علَىٰ الحَوْضِ».

وقال له رجل من الصحابة: أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ولا يعطوننا حقنا، قال -عليه الصلاة والسلام-: «أدُّوا الذي عليكم، وسَلُوا الله الذي لكم»، والأحاديث في هذا كثيرة، ارجع إلىٰ صحيح مسلم، البخاري، كتب السنن حتىٰ تعرف ماذا قال الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وحتىٰ تجتنب المناهج البدعية التي يقول بها بعض الناس اليوم تأثرًا بالمعتزلة أو الخوارج أو غيرهم من الفرق الضالة.

وفي نفس المقام لا يجوز أن توافقهم علىٰ باطلهم وعلىٰ منكراتهم أو ترضىٰ بذلك، فهذا معنىٰ الصبر، اصبروا يعني: لا تفعلوا ما يغضب الله، ولكن لا تخرج، هذا الأمر ذلَّت فيه أقدام وضلَّت فيه أفهام، أُناس وافقوهم علىٰ معاصيهم وأقروهم علىٰ معاصيهم، وقالوا هذا الشيء جيد وهذا الشيء حسن، فلم يصبروا كما أمر الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، وأناس سلُّوا السيف عليهم وأُمروا بالخروج

ونقْض البيعة، فسفكوا دماء المسلمين وشتَّتوا الشَّملَ وهؤلاء الخوارج ومن لفَّ لفَّهم؛ ولهذا الشيخ بعد هذه المسألة أتىٰ بالمسألة الأخيرة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعظيم الحاجة له.

قال: (وَيَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ الإِيمَانُ إِلَّا بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ بِاليَدِ، وَإِلَّا بِاللِّسَانِ، وَإِلَّا فَبِالقَلْبِ، عَلَىٰ حَسَبِ مَرَاتِبِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَطُرُقِهِ المَرْعِيَّةِ)، يعني ليس علىٰ هواك تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وإنما بما جاء به الشرع، ففيه أشياء باليد وهي للسلطان أو من يقوم مقامه أو لولي الأمر في البيت، الأب في بيته، أو صاحب الشركة في شركته يُلزمهم بالصلاة، يلزمهم بالخير، ينهاهم عن الكذب، هذا باليد ممكن، صاحب السلطان في سلطانه، في بيته.

قال: (وَبِالجُمْلَةِ فَيَرَوْنَ القِيَامَ بِكُلِّ الأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَىٰ الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ).

ثم ذكر الأصل الخامس والأخير وهو قصير نختم به هذا الدرس.

{(الأَصْلُ الخَامِسُ: طَرِيقُهُمْ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ، وَيَلْتَزِمُونَ أَنْ لَا طَرِيقَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ كَرَامَتِهِ إِلَّا بِالعِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَجْتَهِدُونَ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا، وَالتَّفَقُّهِ فِيهَا أُصُولاً وَفُرُوعًا.

وَيَسْلُكُونَ جَمِيعَ طُرُقِ الدَّلَالَاتِ فِيهَا: دَلَالَةُ المُطَابَقَةِ، وَدَلَالَةُ التَّضَمُّنِ، وَدَلَالَةُ الالْتِزَامِ، وَيَبْذُلُونَ قُوَاهُمْ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ.

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ العُلُومُ النَّافِعَةُ، وَكَذَلِكَ مَا تَفَرَّعَ عَنْهَا مِنْ أَقْيِسَةٍ صَحِيحَةٍ وَمُنَاسَبَاتٍ حَكِيمَةٍ، وَكُلُّ عِلْمٍ أَعَانَ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَوْ آزَرَهُ، أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ، كَمَا أَنَّ مَا ضَادَّهُ وَنَاقَضَهُ فَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ، فَهَذَا طَرِيقُهُمْ فِي العِلْمِ.

وَأَمَّا طَرِيقُهُمْ فِي العَمَلِ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّصْدِيقِ، وَالاعْتِرَافِ التَّامِّ بِعَقَائِدِ الإِيمَانِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ العِبَادَاتِ وَأَسَاسُهَا، ثُمَّ يَتَقَرَّبُونَ لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ المُتَعَلِّقَةِ بِحَقِّهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، مَعَ الإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ، وَبِتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ وَالمَنْهِيَّاتِ تَعَبُّدًا للهِ تَعَالَىٰ.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ إِلَّا كُلَّ عَمَلٍ خَالِصٍ لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، مَسْلُوكًا فِيهِ طَرِيقَ النَّبِيِّ الكَرِيمِ، وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ تَعَالَىٰ فِي سُلُوكِ هَذِهِ الطُّرُقِ النَّافِعَةِ؛ الَّتِي هِيَ العِلْمُ النَّافِعُ، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ المُوصِلُ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَفَلَاحٍ، وَسَعَادَةٍ عَاجِلَةٍ وَآجِلَةٍ؛ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا)}.

يقول -رحمه الله-: (الأَصْلُ الخَامِسُ: طَرِيقُهُمْ) يعني أهل السُّنَّة والجماعة (فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ)؛ يعني يجمعون بين العلم الشرعي وبين العمل الصالح.

يقول: (يَعْتَقِدُونَ، وَيَلْتَزِمُونَ أَنْ لَا طَرِيقَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ كَرَامَتِهِ إِلَّا بِالعِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ): لا يُوجد من الطرق الصوفية والطرق البدعية، سواء كان أصحابها

يسلكون مسالك أعمال القلوب أو يسلكون مسالك أعمال الجوارح، كل هذه الطرق التي خالفت طريق الله وطريق رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم- ينبذونها، وإنما يتبعون الشرع المنقول المحفوظ في كتاب الله وسنة رسوله، هذا هو العلم النافع، فيجتهدون في معرفته والبحث عنه ودراسته والتَّفقه فيه أصولاً وفروعًا، فيدرسون الفقه وأصول الفقه بالطريقة الصحيحة، ويدرسون التفسير وكلام الله -عز وجل- ويدرسون الحديث.

قال: (وَيَسْلُكُونَ جَمِيعَ طُرُقِ الدَّلَالَاتِ فِيهَا)، الشيخ -رحمه الله- من الناس المتميزين في هذا المقام ولو قرأتم بعض مؤلفاته تجد أنه يوضح هذا بالتفصيل، فالدلالة أو الاستدلال بالنص يكون إما (مطابَقة أو تضمُّن أو التِزام)، وهذا يحتاج إلىٰ شرح لكن مثلاً أذكر علىٰ سبيل المثال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ﴾ الأمانة: أعطاك رجل مبلغًا من المال أمانة أو أعطاك سيارته أمانة، أمانة تحفظها، هذا نقول يجب حفظ الأمانة من مطابقة النص.

والتضمُّن، دلالة التضمن: أنه يجب أن يكون عندك مكانًا لحفظ الأمانة أو قدرة علىٰ حفظ الأمانة.

الالتزام، دلالة الالتزام: أن تذكر الأمور الخارجة عن الآية والحديث لكن لا تقوم أنت بهذا الواجب إلا بها، مثل وجود الحِرز الذي يحفظ هذا، أو مثل وجود القدرة أو الإحاطة أو المكان الأمان ونحو ذلك، هذه خارج النص لكن دلالة التزام.

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، هنا مطابقة يكون حكمك عدلًا هذا واجب، دلالة التضمن وجود حاكم أي قاضي، وهذا تضمن؛ لأنه جزء من المعنىٰ، والجزء المتحاكم هو الجزء الثاني، دلالة الالتزام أن يكون عندك علم شرعي، ما مذكور في الآية أنك تطلب العلم أو تدرس العلم الشرعي، لكن لا يمكن أن تحكم بالعدل إلا إذا عرفت العلم بالشريعة، هذا يسمىٰ دلالة التزام، دلالة صحيحة جدًّا، فيقول الشيخ إن أهل السُّنَّة يسلكون هذه المسالك السليمة (وَيَبْذُلُونَ قُوَاهُمْ) يعني في التفكير والنظر الصحيح بحسب ما أعطاهم الله، (وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ العُلُومُ النَّافِعَةُ)؛ أي والله، هذا هو العلم النافع، علم الكتاب والسُّنَّة، العلم قال الله، قال رسوله، قال الصحابة، ليس بالتمويه.

(مَا تَفَرَّعَ عَنْهَا مِنْ أَقْيِسَةٍ صَحِيحَةٍ وَمُنَاسَبَاتٍ حَكِيمَةٍ، وَكُلُّ عِلْمٍ أَعَانَ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَوْ آزَرَهُ، أَوْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ)، يعني إذا درست النحو حتىٰ تعرف الفعل والفاعل والمفعول وتعرف أدوات النصب وأدوات الجزم، هذه كلها تعينك علىٰ فهم كلام الله وكلام رسوله، إذا درست اللغة العربية، إذا درست البلاغة وأوجه البلاغة والمعاني المتضمنة، كل هذا تعينك علىٰ فهم كلام الله وكلام رسوله، كذلك التاريخ والسير، سيرة الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-، بل إذا درست الحساب لإتقان الفرائض؛ لأنه لا يمكن أن تقسم للناس أموالهم إلا إذا كان عندك معرفة بالحساب، فهذا كله مما يحبه الله -عز وجل- لأنك تعين الناس علىٰ معرفة حقوقهم وتعطي هذا حقه وهذا حقَّه.

قال: (كَمَا أَنَّ مَا ضَادَّهُ وَنَاقَضَهُ فَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ)، الذي يناقضه مثل الشرك والكفر والإلحاد؛ ولهذا نحن نحذِّر المسلمين من كتب الإلحاد، كتب الفلسفة والمنطق والكِهانة أو الكتب التي تضمنت محرمات مثل التي تُعلم الموسيقىٰ والمعازف أو الكتب التي تشتمل علىٰ أشياء محرمة من الفواحش أو غيرها، أو التي تُعلم الناس يسمونها خفَّة اليد وهي كلها خِداع للناس وأكل أموال الناس بالباطل، أو علوم المتصوِّفة مثل الخطرات والتوسع في تلك الأمور، كل هذه أمور لا يُلتفت إليها، علوم لا يلتفت إليها.

ختم الشيخ هذا في العلم: أما في العمل (فالتصديق أمور قلبية) مع التقرب (أمور عملية)؛ فعندهم عقيدة وعندهم أعمال، يؤدون الفرائض، يتركون المحرمات، حقوق الله -عز وجل- يقومون بها، حقوق المخلوقين، يستكثرون من النوافل.

ثم قال: (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ إِلَّا) ما توفر فيه الشرطان: الإخلاص لله وسلوك طريق النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، وهم مع هذا كله يستعينون بالله، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

اللهم أعنَّا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فلا مُعين لنا إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نختم بسؤال يكون متعلقًا بالكتاب ويكون عليه جائزة وهو للنساء أيضًا: ما حكم الاستثناء في الإيمان مع التفصيل؟